الكتاب الأول

حزب الله

في مواجهة

حزب الشيطان

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

للمــؤلف

الطبعة الأولى

١٩٧٥م ـ ١٣٩٥هـ

الطبعة السادسة

٢٠٠٦م ١٤٢٦هـ

رقم الإيداع: ٤٤٣١/ ١٩٧٥

تصميم الغلاف:

عطية الزهيري

obeikandl.com

إهـــــداء

كنت أود أن أهـدي كلمـاتي الأولى إلى أمي..
فمنها استقيت حب الله، وحب الناس ما داموا
في وفاق مع الله
غير أن هناك أمهات عظيمات، أنجبن شبابًا
بـــذلوا أرواحهـــم إعـــلاءً لكلمـــة الله..
فهم لنا النبراس يضئ ظلمـــات الجاهليـــة..
ومنهم تعلمنا أن نقول «لا» عندما تعني «نعم»
حيـــاة الرفاهية فـــي ظـــل الشيطـــان!

إلى أمهات شهـــداء الإســـلام..

أهدي كتـابي هذا

obeikandi.com

obeikandl.com

تقديم

لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي

أحمدك ربي على نعمة الإيمان بك، وشرف الإسلام لـك، سبحانك لم تخل جيلاً من خير ولا مجتمعًا من حق، وهكذا أبقيت لليقين بك خلايا إيمان لا تقتلعها جاهلية، ولا يفسد نواتها طغيان.

وأصلي وأسلم على عبدك وسيد خلقك محمد الذي جمعت فيه الخير كمالاً، وجمعته في أمته تكاملاً، ليظل في الوجود قبسًا ييئس الشيطان أن ينفرد، ويقطع الأمل لحزبه أن يتفرد.

وبعد؛

فقد قرأت هذا الكتاب، وفي نيتي أن ألتمس حيثيات تبرر تكريمي لمؤلفه الشاب المهندس وائل عثمان، تقديرًا مني لغير متخصص انفعل لما يعتقده، فالتزم به، وعشق جماله فهام فيه، وتذوق جلاله فغار عليه، ثم حاول إكمال إيمانه، فأحب لإخوانه ما أحب لنفسه، فجلي للشباب حسن ما أعتقد، ببيان يقنع، وبرهان يشبع، وعرض يستميل، وعمق يشفى الغليل، وبهذا أدى حق العقلاء الشرفاء الذين فوتت عليهم بيئاتهم حق المعرفة لمهمتهم الأولى في هذا الوجود، وحق العلم لموقعهم من هذا الكون، وبأي قوة يرتبطون، وبأي موجة يأتمرون، وإلى أي غاية هم صائرون، وأشهد الله أنه وفى هذا القصد حقه وفاء كسب به لحزب الله كل عقل نظيف لم يشغله هوى ضال

يفسد الفكر، ولم يدنسه جحود مكابر يقتات بالشر، وكلما علا نباحه زاد له الأجر، ومثل هؤلاء جاهدهم المؤلف بكتيبة في كتاب أعدها بسيوف في حروف، فلم يبق لحزب الشيطان سلاحًا إلا فله، ولا شعارًا إلا فضحه.

وإني أيها القارئ لا أطيل لك الرشاء، وقريب منك الماء. فاقرأ كما قرأت لتحكم للمؤلف فوق ما حكمت، وأسألك بالله أيها القارئ أن تقرأه لا قتلاً للوقت لأن ما تقرؤه حياة كل وقت، واستقبل دارسة هذا الكتاب على أنه بنيان بيان، صممته هندسة إيمان، ونفذته عبقرية إحسان. وادع معي أيها القارئ لوائل دعوة تزيده هدى، وتجعل لدعوته دوى الصدى حتى يكون أسوة جيل فيه الأمل الحبيب، لفتح قريب.

محمد متولي الشعراوي

obeikandl.com

مقدمة الطبعة السادسة

بعد حمد الله وشكره، والثناء على جميل فضله وعظيم نعمه... أصلي وأسلم على سيد الخلق وأكرمهم محمد ﷺ.

تصدر هذه الطبعة بعد خمسة وثلاثين عامًا من صدور الطبعة الأولى، وما زالت القضايا والمشكلات التي تناولتها صفحات الكتاب كما هي وكأنها وليدة اليوم..! وهو شيء يدعو للأسى والحزن لأنه يعني أننا في وضع «محلك سر» في حين أن الدنيا تتغير من حولنا كل لحظة!

لذلك جاءت هذه الطبعة بلا تغيير يذكر إلا من تعليقات وهوامش قليلة.

وشاء الله أن تصدر هذه الطبعة بعد رحيل إمامنا الشيخ الشعراوي - رحمه الله وغفر له- وإنه وإن كانت الطبعة الأولى قد نفدت فور صدورها إلا أن تمسكي بفضيلة رد الفضل لأصحابه تقتضي أن أقر بأن تقديم الشيخ للطبعات التالية كان، بعون الله ومشيئته، العامل المؤثر والهام في إقبال الناس على شراء وقراءة الكتاب، فجزاه الله خير الجزاء وجعله ممن تقبل شفاعتهم يوم الحساب لعله يشفع لي عند ربه في الآخرة كما شفع لي عند القارئ في الدنيا.

بقي أن أشير إلى أنه من الأمانة الاعتراف بأني قد أجريت بعض التعديلات الطفيفة والحذف والإضافات القليلة في الطبعة التي تلت تقديم فضيلة الشيخ الشعراوي للكتاب، ولكن قد يشفع لي أن ذلك كان في حياته ولم يعترض علي أي منها.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ صدق الله العظيم.

ذي الحجة: ١٤٢٦هـ

القاهرة

يناير: ٢٠٠٦م

obeikandl.com

مقدمة الطبعة الرابعة

في تقديمها للكتاب، كتبت الجريدة المسائية التي تصدر في مصر: «على مدى عشرين سنة لم نقرأ حرفًا إسلاميًا لشاب حتى ظنن أنها لم تعد تنجب إسلاميًا من هذا الجيل الذي أرادوا له أن يكون ملحدًا لا يعرف كلمة الله وفجأة بدد هذا الظن شاب درس الهندسة فعرف الله حق المعرفة وشرب من زاد الثقافة والإيمان حتى أصبح قوة إسلامية -لها ثقلها ووزنها في جامعة القاهرة...».

استوقفتني هذه الكلمات من المقال -لا لمدح لي فيها- وإنما لما تثيره من قضية مصيرية هامة، ألا وهي قضية الفكر الذي يؤمن به جيلنا نحن الشباب، وإذا كان الله قد قدر لي أن أكون أول من يبرز الاتجاه الفكري لجيلنا، فإن هذا لا يعني أنني أمثل هذا الاتجاه خير تمثيل، فهناك -من الشباب- من هم أجدر مني وأعلم. والحقيقة التي يدركها كل من في الجامعة بالذات أن القلم الإسلامي الشاب لم يمت، وهو أقوى ما يكون رغم كل المحاولات التي تسعى لقمعه وإسكاته عن طريق بث كافة العراقيل التي تحول دون انتشاره وتعبيره عن فكر جيلنا.

لقد أسعدني كثيرًا أن أقابل شبابًا -لم تكن لي معرفة بهم من قبل- يعتبرون نجاح الكتاب نجاحًا لهم، فنحن لا يهمنا من بدأ فكتب ونشر، وإنما يهمنا أن نؤكد على الوجود الإسلامي كاتجاه مميز لجيلنا.

إنني أطمئن من ظن أن «مصر لم تعد تنجب إسلاميًا من هذا الجيل»، فجيلنا يدرك تمامًا -كسائر جميع الأجيال- إن الإسلام هو الملاذ الوحيد لنا، وأن لا خير فينا ولا رجاء إلا بتمسكنا بأخلاقيات وأحكام هذا الدين.

غير أن الأمر لا يكتمل هكذا، فالمؤسف فيه أن إيمان معظمنا هو إيمان عاطفي يفتقد الفهم العقائدي لروح هذا الدين، والدراسة المتعمقة لأحكامه ونظمه.

ولعلنا نلتمس لأنفسنا بعض العذر، نظرًا لغياب القيادة الإسلامية الحقة في الفترة الماضية القريبة من حياتنا، مما أفقدنا قدرتنا على فهم المنهج السليم لدراسة ومعرفة ديننا.

هذا المنهج الذي اتبعه رسول الله ﷺ بوحي من ربه، والذي يبدأ أولاً بتعميق مفهوم «لا إله إلا الله» في النفوس، حتى إذا ما فهمت ووعت، استقبلت أحكام ربها وأرتضتها دون أي شك في مدى سلامتها.

أننا حينما نعلم أن رسول الله ﷺ قد أمضى ثلاثة عشر عامًا لا يدعو إلا للإيمان بالله فقط -والحال وقتها لا يختلف عن حالنا اليوم، وهي حقيقة نأسف لها- ندرك أهمية وخطورة فهم معني أن نعبد الله. فالإيمان بالله، بمعناه الإسلامي هو الأساس الذي تقوم عليه المذهبية الإسلامية التي تعطي تصورًا شاملاً لمعني الحياة، وتتفرع لتشمل الأحكام السياسية والاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بمفهوم العبودية لله.

هذا الفهم والإدراك هو ما ينقصنا، وجهلنا به هو الذي يدفع البعض منا للمقارنة بين الأحكام الإسلامية وأحكام بعض النظم الوضعية، فيخيل للبعض مثلاً أن التكافل الاجتماعي في الإسلام يشابه المفاهيم الإشتراكية، أو أن الملكية الخاصة في الإسلام تجعله أقرب ما يكون للاقتصاد الرأسمالي عن الاقتصاد الشيوعي، رغم أن هذه الأحكام -اشتراكية كانت أم رأسمالية- تقوم على أساس مذهبي مادي يختلف تمامًا عن المذهبية الإسلامية.

obeikandi.com

هذه هي القضية، وهذا هو واجبنا، أن نبحث في مفهوم ومعنى المذهبية الإسلامية التي تقوم على أساس التوحيد. والموضوع أخطر وأكبر وأهم من أن يناقش في كتاب واحد. لكن المهم الآن أن نبدأ، وأن نظل على العهد... سائرين في طريق الله.

وفي نهاية هذه الكلمة، أود أن أنوه بجميل فضل أخي عبد الحميد بهجت «نائب رئيس اتحاد هندسة القاهرة السابق»، فقد كان أول من قرأ هذه الخواطر، فأشار عليّ بإعادة صياغتها واستكمالها، وتقديمها في كتاب للشباب... فكان هذا الكتاب.

ربيع الأول: ١٣٩٦ هـ
القاهرة
مارس: ١٩٧٦م

obeikandl.com

مقدمة الطبعة الثانية

ما شاء الله... لا قوة إلا بالله

لقد كان من فضل الله عليَّ أن تنفد الطبعة الأولى، فحمدًا لله -سبحانه وتعالى- الذي يعين عبده على عمله ما دام يبتغي به رضوانه جل شأنه.

لقد كان ذلك أعظم دليل على تعطش الشباب للقراءات الإسلامية بأقلام شابة متحررة من النفاق الذي سيطر على نفوس الكثيرين من أدعياء العلم في عصرنا هذا. وعسى أن يدفع هذا النجاح الأقلام الشابة بالمطالبة بحكم الإسلام دون خوف من تهمة الرجعية التي تلصق بالأحرار في مجتمعات اليوم.

وفي نفس الوقت، فإنه يؤسفني أن أقول أن أيادي كثيرة قد برزت تنشب أظفارها محاولة عرقلة توزيع الطبعة الأولى وإعاقة انتشارها، فلا شك أن البعض ما زال يفزعهم اتجاه الشباب نحو ربهم، لذلك -أناشدك أخي القارئ- الحفاظ على هذه الكلمات وتقديمها للشباب من حولك، مؤكدًا أنني لا أطلب ذلك بدافع حب الذات، فأنا لا يهمني أن تتذكر اسمي، وإنما يهمني كثيرًا أن نبدأ نحن شباب هذا الجيل مرحلة جادة في طريق ارتباطنا بالله، ليعلم هؤلاء الذين خططوا للقضاء على إسلامنا أن ما زرعوه لم يحصدوا منه إلا وبالاً عليهم وزيفًا فيه نهايتهم.

﴿يُرِيدُونَ أن يُطْفِئُوا نُور اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ويَأْبى اللهُ إلاَّ أن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِه الْكافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ولقد أسعدني كثيرًا مناقشات دارت حول الكتاب، وتساؤلات وجهت إليَّ، واستفسارات عن نقاط أشرت إليها إشارات سريعة في سياق الحديث، لذلك رأيت من الواجب أن أزيد وأنقح وأعدل في هذه الطبعة ولعل القارئ الكريم يلحظ ذلك.

كما كان من نصيب هذه الطبعة زيادة في ثلاثة عناوين هي: هذا الدين، حكمة الدين، هكذا نبدأ الطريق.

وأود أن أقف في هذه المقدمة عند ثلاثة موضوعات:

الموضوع الأول: أسلوب هذا الكتاب في تناول القضايا، ويعتمد على الإشارة السريعة لها، وقد تمنى البعض لو أنني تناولت بعض القضايا بشيء من الأسهاب، لذلك فقد حرصت على تحقيق ذلك في هذه الطبعة، داعيًا الله أن يوفقني ويساعدني في بحث كل موضوع على حدة -مع ربطه بحياتنا اليوم- وذلك في كتابات قادمة بإذن الله.

الموضوع الثاني: يتعلق بالمقصود بحزب الشيطان.

وكما توقعت فإن معظم من قرأ عنوان الكتاب استنتج على الفور أن المقصود بحزب الشيطان هو التجمع الشيوعي.

ولا شك أن الشيوعيين يمثلون الدعامة الأساسية لحزب الشيطان لكنهم ليسوا وحدهم، بل إنني -وبكل صراحة- لم أقصدهم بالحديث أبدًا لسبب بسيط ينحصر في مدى قوة العقيدة الشيوعية.

فالشيوعية فكرة ولدت ميتة، والحياة في البلاد التي تعتنقها وتطبقها لا تغري إنسانًا بالسعي إليها والتعلق بها، بل إن كثيرًا من تلك البلاد بدأت

obeikandi.com

تتراجع عن مبادئها الشيوعية ولم يمض على بدء مسيرتها معها أكثر من خمسين عامًا -وهي مدة ضئيلة جدًا بالنسبة لحساب زمن أي فكرة وامتدادها وتأسيسها لدولة ما- كما أن الإيمان الفطري للشعوب الإسلامية يضع سدًا منيعًا يحول بينها وبين اعتناق الشيوعية التي تقوم أساسًا على فكرة إنكار الله رغم ما يدعيه بعض المنافقين الماركسين من أنهم لا يأخذون من الشيوعية غير نظريتها الاقتصادية، وهذا جهل وكذب وبهتان فالمتناقضان لا يجتمعان أبدًا، فكيف إذن تجتمع النظرية الاقتصادية القائمة على افتراض التفسير المادي للتاريخ مع الإيمان بوجود الله خالقًا لهذا الكون ومسيطرًا عليه؟!

وعدم خوفي من الشيوعيين قائم على أساس واقعي عملي، فهم قلة نادرة في الوطن العربي -بل والأمة الإسلامية كلها- ولم تكن لهم السيطرة في أي وقت على أي بلد عربي، أما سيطرتهم على مواطن من الأمة الإسلامية -في روسيا والصين ويوغسلافيا ومناطق أخرى من العالم- فقد تم بأسلوب الإبادة والقتل والتشريد، والحقيقة التي قد تخفى على الكثيرين أن معظم التنظيمات الشيوعية في الوطن العربي تنتهي خيوطها وتمسك بها الدول الرأسمالية، والتنظيمات الصهيونية، بل إن مؤلف كتاب «لعبة الأمم» -مايلز كوبلاند- يعترف أن المخابرات الأمريكية كانت وراء معظم الانقلابات الشيوعية في المنطقة العربية، بهدف بث كراهية تلك الشعوب للحكم الشيوعي -لأنها تؤمن تمامًا أنه سيفشل في حل مشاكل الجماهير- وبالتالي تتجه آمال تلك الشعوب للرأسمالية وتسعى إليها وتبارك الوقوع في أحضانها!!

إذن على المسلمين أن يتنبهوا لما يدبر لهم، ويحذروا من أن يقعوا فريسة المجموعة التي تعمل على اجتذابهم لها بدعوى محاربة الشيوعية على أنها

العدو الأول للإسلام، فالحقيقة أنهم جميعًا على درجة متساوية من العداء للإسلام: الشيوعية بذيولها الاشتراكية، والرأسمالية. ومن الخطأ أن نتصور أن مناصرتنا لجانب ضد الآخر سيحقق أي فائدة لنا، فالإسلام دين قويم مستقل لا مكان فيه لأي إنسان يشرك بالله أيًا كان مظهر هذا الشرك.

إن محاربتنا للشيوعية لا تعني أننا قد نسينا الطرف الآخر من أعدائنا. ولنتذكر قول اللورد اللنبي وهو يدخل بيت المقدس في الحرب العالمية الأولى: «اليوم فقط انتهت الحروب الصليبية». ومع كل ما تبين، فأنني أريد أن أكون أكثر وضوحًا وصراحة فأقول: إنني ما قصدت بحزب الشيطان إلا المجموعة التي تدعي إيمانها بالإسلام وهي أول المحاربين له.

هذه المجموعة هي الأخطر من كل التجمعات الشيوعية والرأسمالية لأنها تتستر خلف إسلامها المعلن ولا تظهر الوجه الآخر من عملها وبذلك تضرب وهي مطمئنة إلى أن أحدًا لن يشك في نياتها.

وقد يتسائل البعض: وكيف لنا معرفة هذه المجموعة والكشف عنها؟

إن الحكم سهل يسير. فالإسلام واضح لا غموض فيه: إيمان بالله وبرسوله، وعمل بأحكام الله، وارتباط بسنة رسوله. فإذا أنت درست وفهمت القرآن الكريم والسنة الشريفة، استطعت أن تحكم على أي حاكم مهما ادعى من إيمان، وعلم بأحكام الإسلام، والأمر هنا قاطع لا يقبل أي مواربة أو تشويه، فإما إسلام أو لا إسلام، ولا وسط بينهما.

الموضوع الثالث: ماذا أقرأ ولمن؟

سؤال يتردد في النفوس الباحثة عن الحق. لهذا كتبت في نهاية هذه الطبعة ما أتذكره من المراجع التي استعنت بها لتكوين الفكرة التي دفعتني لكتابة هذا الكتاب.

obeikandi.com

ولست هنا بصدد أن أذكر أسماء معينة، فليس هذا هو المهم.

فالقراءة تتعلق بامرين اثنين، الأول: أين يقف القارئ من الإسلام وما هي حدود معلوماته وقراءاته السابقة؟

وهو أمر هام لتحديد ماهية الكتب التي يتعين عليه قراءتها.

وبادئ ذي بدء، يجب أن نخرج القرآن الكريم من التسلسل المرحلي للقراءة، لأن المسلم لا يكف أبدًا عن قراءة كتاب ربه، فهو الزاد الذي يحميه من أن ترتخي علاقته بربه، ثم أنه في كل مرة لقراءته يكتشف فيه ما لم يكتشفه في قراءاته السابقة.

فإذا كان المسلم في بداية الطريق، فعليه بكتب العقيدة التي تربيه على قبول الفكرة الإسلامية وارتضاء أحكام الإسلام في حياته الخاصة والعامة.

هذه هي المرحلة الأولى والتي تتشعب بعدها المراحل في أكثر من اتجاه وحسب ما تقتضي الظروف والأحوال، ففي كل زمن يحتاج المسلم للقراءة في موضوع معين يشعر بانكماشه وتقلص دوره في إحياء الحياة الإسلامية في مجتمعه، فأحيانًا تهبط الأخلاقيات وتنحط بذلك قيم التعامل بين الناس رغم وجود الدولة الإسلامية القوية التي تحكم بما أنزل الله، وهنا نحتاج لإظهار مبادئ وأسس الأخلاقيات والمعاملات الإسلامية، وقد يكون الدين من حيث جانبه الأخلاقي حيًا في النفوس ولكن أحكامه السياسية أو الاقتصادية بعيدة عن التطبيق فتكون الحاجة إلى التركيز في توضيح هذه الأحكام، وهكذا تفرض الظروف والأحوال وطبيعة المجتمع قراءات معينة، يندفع القارئ للاهتمام بها، وهذا أمر ضروري يجب ألا ينفيه الاستعداد النفسي للإنسان والذي يدفعه للقراءة في موضوعات معينة.

أما الأمر الثاني فمرتبط بالتكوين الفكري للمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، والذي يتأثر بالمناخ السياسي للحكم، ففي ظل الحكم الدكتاتوري الإهاربي، وفتح المعتقلات والسجون لاستقبال المفكرين والمجاهدين، واشتداد الرقابة على المؤلفات والنشر... تموت الحرية ويموت معها الفكر الإسلامي الحر، وتنشط الأقلام المنافقة التي تشتري الحياة الدنيا بالآخرة، وعندئذ يكون من الخطر أن يقرأ الإنسان للأقلام التي ارتضت الحياة في ظل هذا الحكم، وعلى المسلم أن يتجنب قراءة الكتب المؤلفة في ذلك العهد لأنها لا تخدم الفكرة الإسلامية، بل تفككها وتشوهها بما يرضي المتسلطين على الحكم[1].

فإذا تمسك القارئ بهذا المقياس، وتتبع حياة المؤلف ومواقفه من الحاكم الظالم، مع اطمئنانه لأفكار المؤلف وخلو كتاباته وآرائه من أي فكرة جاهلية... لاستطاع أن يحدد لمن يقرأ، ثم هو في قراءاته لا يكتفي بذلك، بل أنه يرجع ما يقرؤه للأصول الإسلامية ليقف على صحتها أو خطئها.

يقول الإمام مالك: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه».

ويقول القاضي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة: «لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا».

ويقول الإمام الشافعي: «مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة وفيها أفعى تلدغه وهو لا يدري».

---

(١) نستثني مؤلفات العلماء الذين قالوا كلمة الحق في وجه السلطان الجائر.

وبعد كل هذا لا يجب على المسلم أن ينسى أن الإسلام لا يخص قومًا بعينهم، بل هو دين الإنسانية كافة، ولذلك فالمسلم لا يتقيد في قراءاته بالحدود الجغرافية للمكان الذي يعيش فيه، ولا بالعصر الذي ينتمي إليه، وعليه أن يمتد بأفق قراءاته ليشمل القلم الإسلامي الحر أينما وجد.

هدانا الله لقراءة ما ينفعنا، والعمل بأحكام ما نقرأ ونسمع...

رمضان: ١٣٩٥ هـ

القاهرة

سبتمبر: ١٩٧٥م

obeikandl.com

أتجه إليك وكلى خطيئة ودموع..

أتجه إليك وكلى خجل..

وكيف لا، وأنا أعصيك، وأنت خالقي..

أبتعد عنك، وأنت تناديني..

أنصرف عن عبادتك، وأنت تحميني وتعطيني..

ما هذه الحياة التي أصبحنا نحياها؟

لماذا تجعلنا نتمادى في الخطيئة، وفيم انتظارك علينا وأنت القائل:

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد ٣٨].

أستغفرك يا ربى.. أستغفرك..

أنت أعلم بما صارت عليه حياتنا وأخلاقنا.

أعطيتنا كتابك لنتدبره ونعيش بأحكامه، فأهملناه وزينا به الحوائط، وتاجرنا به، وأخذنا نبحث عن بديل... وأين البديل عن كلامك يا خالقنا؟

obeikandi.com

أصبحنا نخاف عبدك ولا نخافك..

نمد يدنا لأعدائك ولا نطلب العون منك..

قلوبنا أفعمها حب الدنيا.. ونظراتنا ما عادت ترنو للسماء.

الخوف والجبن تملكانا فخرسنا عن قول الحق..

أين نحن من عبادك أحباب رسولك الكريم..

هل فينا من يقول كما قال ذلك الأعرابي للخليفة العادل عمر بن الخطاب ﵁: «لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناك بسيوفنا».

وهل منا من يرد «الحمد لله الذي جعل لي أصحابًا يقومونني إذا اعوججت»؟!

إذا قالوا يمينا سرنا لليمين..

وإذا قالوا يسارا سرنا لليسار..

ونسير دون أن نرجع إليك لنعرف إن كان هذا هو ما تريده منا..

إن كان يرضيك اتجاهنا أم يغضبك..

وها هم عبادك يقعون أسرى ملذات الحياة. يرون الخطيئة فيغمضون أعينهم عنها.. ينشغل تفكيرهم في سباق التسلط الدنيوي تاركين القرآن من خلفهم يصرخ باحثا عن حام يحميه.

لقد تمادينا يا ربي فسلطت علينا اليهود، فنهبوا أرضنا، ودنسوا قدسنا، ونجسوا مسجدنا. حذرتنا يا ربي فما انتبهنا ولا اعتبرنا.

هل هي النهاية؟

رحمتك يا إلهي.. رحمتك..

obeikandi.com

مـــدخـــــل:

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجرَ بيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِـدُوا فِـي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تسْليمًا﴾ [النساء ٦٥].

هذه الآية الكريمة تحدد لنا أتباع حزب الله، فهم من يحتكمون لأحكام الإسلام لأنه دين الله.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران ١٩].

أما حزب الشيطان فهو ذلك التجمع الإنساني الذي تمرد على خالقه وخالق الكون الذي أوجده فيه، فصار هائما على وجهه، يتخبط في ظل أحكام وتشريعات أراد لها أن تكون بديلا عن أحكام الله.

وإن ما تعانيه البشرية الآن من عذاب وقلق، رغم التقدم المادي الذي أحرزته، ليدفع النفس إلى التفكير والبحث في سر شقاء الإنسان وعذابه في الأرض.

إن الذات الإلهية هي الحقيقة المطلقة الوحيدة، لكن الشيطان وأتباعه غلفوا الحقيقة بوهم زائف أعمى الإنسان عن تبين طريق الحق، فانقادت البشرية خلف الشيطان يسوقها في طريقه.

والإنسان في محاولته لتلمس طريق النجاة، يرى النور شعاعا منبعثا من بعيد يفقده حينا ويجده أحيانا كثيرة.. ويظل الشعاع بعيد المنال، يتراءى للناظر ويتوارى، فلا يبصر النور كله إلا يوم يتحرر من عصابة الشيطان التي تطبق على عينيه.

obeikandi.com

والحياة من حولي تسير، كانـت لـي هـذه الوقفـة.. أتأمـل.. وأجتهـد للوصول للحقيقة في عالم تاهت فيه الأقدام وزاغت الأبصار.

اللهم إن كنت أخطأت فاغفر لي، وإن كنت أصبت فهب لـي القـوة، واحمني من أن أضل بعد أن هديتني.

***

obeikandl.com

ក្រក់កាឌុទក

obeikandl.com

obeikandl.com

عالم الحرية:

أشعر أنني غريب عن هذا العالم الذي أعيش فيه، ودائما في صراع بين حياة أحياها وحياة أريد أن أحياها، ومحور الصراع دائما هو علاقتي بالله.

إنني أؤمن بالله إيمانا أقوى من أن تزعزعه حجج الماديين في نفى وجود الله، فالإحساس والشعور أجدهما أقوى من العقل، فما بالك لو صدق العقل ذلك الإحساس!

وأريد أن يزداد حبي لله، وأسمو بمعرفتي به من درجة الخوف إلى مرتبة الحب.

والله حدد لي إطارا لحياة أرادها لي ولخلقه أجمعين. وهذا ما يؤرقني، ذلك أنني ما شعرت يوما بوجودي داخل هذا الإطار، وإنما كان بعضي يحيطه هذا الإطار، وأحيانا لا أستطيع سوى السير على جناته قربا أو بعدا.

وتقلقني كثيرا فكرة القدر، ولا أريد أن أعلق عليها خطاياي.

نعم أنا حر... ولكن إلى أي حد، وهل يمكنني أن أمارس حريتي في كل وقت؟

إنه العالم الذي أعيش فيه.. يقيدني... يشدني بسلاسل قد تتراخى فترة لكنها تربطني به في كل لحظة.

لقد أطلقوا عليه (عالم الحرية) وما هو إلا عالم القيود الحديدية.

هم يقولون «أنت حر» «افعل ما تشاء» ولكنى لا أريد هذه الحرية.

إنهم لن يكونوا أعرف بما أريد من خالقي، وخالقي لم يقل لي «أنت حر.. افعل ما تشاء»، وهم في ظل حريتهم هذه يفرضون على أن أعيش حياتهم ويسلبوني حريتي في أن أعيش في وفاق مع خالقي. فأين إذن الحرية؟!

وتحضرني كلمة سمعت من يقولها نقلا عن أستاذ في كليتنا يقول:

«المهندس المدني إما أن يكون «حمار أو حرامي»[٢].

وما هكذا طلب مني ربى أن أكون فهو -سبحانه وتعالى- لا يرضى بالوضعين ولكن في عالم الحرية يعطوك الفرصة لأن تختار!

وأنا لا أريد هذا الاختيار ولا هذه الحرية.. بل أرحب بقيود ربى التي لا تترك لي فرصة الخيار لأنه يريدني شيئا واحدًا.. أن أكون منتجا شريفا. والخطر في أن كلام ذلك الأستاذ صحيح، بل هو صحيح في حياتنا كلها. ولا أرى معظم الناس اليوم إلا لصوصا أو حميرا.

وإني لأتعجب من مفهوم الحرية التي يفتن الناس بها، ولا أدرى بأي حق نطالب بها ونفنى حياتنا لنيلها؟!

إنه لعالم مغرور يظن فيه الضعيف أنه القوى فيطالب بما لا يتحقق للأقوياء. وننظر حولنا فنرى الشمس وهى من القوة بحيث عبدها الإنسان قديما، فهل هي حرة في حركتها؟ بل هل استطاعت للحظة أن تتحرر من قيد خالقها؟

---

(٢) الحمار هو الاسم الذي يطلقه عالمنا اليوم على الشريف الذي يتقى الله في عمله ولا تمتد يده للسرقة أو الرشوة ولا ننكر أن هناك من يصل للقمة بشرفه وجهده، ولكنهم قلة نادرة!

obeikandi.com

والكون كله من حولنا يتحرك بلا حرية. والإنسان الضعيف يتمرد ويكسر الطوق وينطلق. ولكن إلى أين؟ إنه حتى لا يولد حرا. فهل لنا أن نملك حرية تواجدنا؟ هل كنت حرا في اختيار أمي وأبى.. هل كنت حرا في أن أكون ذكرا أو أنثى.. هل خلقت نفسي بالكيفية التي أشاؤها حتى أطالب بالحرية في حياتي بعدها؟

وفى لحظة ينتهي كل شيء فلا تستطيع دون ذلك شيئا.. فإذا كانت البداية والنهاية لا حرية فيهما فكيف تكون الحرية بينهما؟!

إذن من العبث أن نقول بالحرية ونحن بالقيود أتينا وبها نذهب.

وهل لا يعي ذلك دعاة الحرية. دعاة «افعل ما تشاء»؟.

بلى.. إنها الحقيقة الجلية التي يعيها هؤلاء جيدًا. وهنا يكمن الخطر.. فهم ما دعوا لهذه الحرية اعتقادا منهم بأحقية الإنسان لها، وإنما دفعهم لذلك شهوتهم للسيطرة على الإنسان وتقييده باسم الحرية.

لقد تمردوا على الله خالقهم، وضايقهم أن يروا خلقا يرتبطون بربهم ويرفضون السير معهم في طريق التمرد والعصيان، فكانت وسيلتهم لإرغام هؤلاء على السير معهم هي تفجير ذلك الرباط الذي يربطهم بربهم، أما وسيلة هذا التفجير فهي الحرية.

وهم ليسوا أغبياء، فلم يعلنوا قط أنهم يقصدون بالحرية أن تفك رباطك بالله، فأنت -كما يزعمون- في ظل مبدئهم هذا حر في أن تختار ما شئت، فلك أن ترتبط بالله ولا تسير معهم.

هذا حسن إذن. لكن ليس هكذا ننظر القضية.

لقد خلق الله هذا الكون واستخلف الإنسان في الأرض ليعمرها وفق شروط وقواعد محددة. فالله لا يطلقنا نشيد ونقيم البناء كما يحلو لنا، وإنما مهمتنا إقامة بنء وفق رسومات ومواصفات معينة، وأي خروج عنها سيسبب ولا شك خللا في البناء.

ومع هذا فالأمر مقبول حتى الآن ما دامت القلة المسببة للخلل لا تهيمن على البناء، ولا توجه ولا تسيطر، والعيوب الصغيرة بإمكاننا دائما إصلاحها ما دمنا نمسك بزمام الأمور، وهنا تكمن المأساة، فأعداء الله ما نادوا بحريتهم المزعومة تلك إلا عندما سيطروا. وهم ما سيطروا إلا في لحظات ضعف فيها ارتباط الإنسان بربه، وهي ظاهرة ليست بالشاذة في ظل أي علاقة.

ومأساتي أنني جئت في عالم يسيطر عليه أعداء الله. ووضعت في سفينة مطلوب مني أن أوجهها وغيري يمسك بالدفة.

ولا أتعجب أكثر من مطالبتي بتوجيه السفينة رغما عن ذلك! وأعترف أنني لا أستطيع -على الأقل حتى الآن- وقد يستطيع غيري، لكننا في إيماننا درجات .

إذن نحن نعيش في عالم نفقد السيطرة عليه ولا نملك توجيهه.

والإنسان طاقات تنشط الواحدة على حساب الأخرى، وليس من المعقول ولا من الإنصاف أن أوجه وأستنفد الجزء الأكبر من طاقاتي لمجرد حماية نفسي من الإغراءات التي تطوقنا وتدفعنا في طريق البعد عن الله.

والإيمان ولا شك مصدر طاقة هائلة، لكن وسط مناخ مضاد كلية للإيمان تفقد هذه الطاقة الكثير من قوة دفعها.

والاحتفاظ بعلاقة طيبة مع الله -في عصرنا هذا- يستنفد الجزء الأكبر من طاقتنا، بل ويحيط حياتنا دائما بالقلق خوفا من أن ينجح الهدامون في زلزلة أساس هذا الإيمان.

وما هكذا أقام رسول الله ﷺ دولته فقد هاجر، وأصحابه من قبله ومن بعده، وتحصنوا بمكان كانت لهم فيه السيطرة والتوجيه، وانتشروا منه وهم قوة مستقلة محصنة.

ويا ليت أحدا يدلني على مكان فيه السيطرة لأنصار الله فأعيش هناك بلا خوف أو قلق[٣].

الشباب المتهم

وأرى الشباب من حولي بلفظ الحرية يتغنون.. وفي اتجاه الهاوية ينحدرون.. وأصحابي لهم لاعنون. وأقول: إنهم بائسون لا ذنب لهم.. اغفر لهم -ولا يغفر إلا الله- لأنهم لا يعلمون.

لكننا اتفقنا أننا في عالم الحرية يتيح لهم دعاتها حرية الاختيار فلم لا يختار شبابنا طريق الله؟

---

(٣) في حديث رسول الله ﷺ لحذيفة بن اليمان وهو يسأله «فهل بعد ذلك الخير من شر» قال الرسول «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها» قال حذيفة: يا رسول الله صفهم لنا قال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» فسأل «فما تأمرني إن أدركني ذلك» قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» فسأل «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام» قال ﷺ: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» [البخاري]. (الاعتزال هنا بمعنى عدم مناصرة أي من تلك الفرق ما دامت كلها كافرة، ولا يعني أبدا اعتزال الحياة والابتعاد عن المجتمع، وإلا فكيف سيتم التغيير)؟

إنها مغالطة كبرى، ولا نجد أسهل من صب الاتهامات والافتراء على الشباب. وقبل أن أستطرد أود أن أؤكد أنني لا أحاول الدفاع عن موقف الشباب، لكنى أميل إلى معالجة القضية من زاوية أقل تزمتا وتشددا مما ينظر إليها البعض.

ولنرى معا كيف يواجه شبابنا حياته قبل أن نسرع بنطق الحكم عليه.

أول ما يصطدم به الشباب في حياته هو ذلكم التناقض الشديد بين ما يسمع ويرى في بيته وبين ما يقابله في مجتمعه عامة من مدرسة وشارع وأجهزة إعلام..

ففي البيت توجيه وإرشاد، ودعوة للارتباط بالله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وخارج البيت عكس ذلك تماما. ولا أعتقد أنني بحاجة للاستدلال على ذلك. فالشباب أول ما يطالع في الشارع إعلانات الخمر والأفلام الخليعة ودعوة للرقص والسهر في الملاهي...

أما المدارس ومن بعدها الجامعات، فقد أضحت بؤرة للفساد، حيث ينتشر فيها الكثير من مظاهر الانحطاط الخلقي. فإذا ما جلس في بيته وأدار مفتاح «التليفزيون» كانت الطامة الكبرى، حيث يصب في قنواته -وعن طريق برامج كثيرة منه- كل دعوة للرذيلة والانحلال. والحقيقة أن «التليفزيون» -وبجانبه الإذاعة- من أهم وأخطر أجهزة الإعلام التي كان من الممكن أن توجه لخلق جيل واع متفهم لمعنى ارتباطه بالله. فبالله عليك -والحال هكذا- ماذا تنتظر من مثل هذا الشاب، وهو لا يمضى في بيته إلا الساعات القلائل -وحتى في البيت تهاجمه شياطين الفساد- أما معظم وقته حيث تتكون شخصيته وتصقل ففي حلبة الشيطان نفسها؟!

هذا في أفضل الحالات، وهي إن وجدت أصلا بيتا ما زال يرتبط بالله، ولن تجد الآن الكثير من هذه البيوت فلا شك أن تفسخ شخصيتنا الإسلامية ليس وليد اليوم.

أقول: هذا في أفضل الحالات. فماذا ترى لو كان البيت هو أيضا من أرباب الفكر المنحل؟!

لا منجى من السقوط حينئذ إلا بمعجزة، ودعنا لا نتحدث عن المعجزات! هذا وإني لا أنكر بالطبع هداية الله -سبحانه- لمن أراد من خلقه في أي وقت وأي ظرف.

إذن نحن نظلم الشباب حين نتهمه ونحن نرى التيار وقد جرفه .

وفي نفس الوقت لا نستطيع أن نبرر له انحرافه، فالطريق إلى الله واضح لمن أراد.

لكن ليس هذا موضوعي، وإنما أتحدث عن واقع يسيطر عليه حزب الشيطان، ويفرض بكل ما يمتلك من وسائل اتجاها محددا يرغم الشباب على السير فيه.

فإذا حدثت المعجزة وتنبه الشاب وأفاق، ومضى يبحث عن سند يجتاز به الطريق إلى الله.. برزت له العراقيل أشكالا وأنواعا، حتى أصبحت الأبواب لا تفتح إلا للقليل من الشباب المرتبط بالله، والذي لا يحمل بطاقة إثبات الولاء للشيطان.

ولا نريد أن ننسى أننا نعيش في عالم الحرية.. عالم «افعل ما تشاء».

يا للعجب! إنهم يضعون الشباب أمام طريق واحد ويقولون له: «اختر ما شئت من الطرق»!

صحيح أن هناك فعلا طرقا أخرى، لكن لماذا يفكر الشباب في إجهاد نفسه بحثا عن تلك الطرق وأمامه طريق سهل جاهز بلا صعاب ولا كفاح. طريق يتيح له أن يفعل ما يريد ويحرره من أي معاناة. طريق «فعل ما يحلو وترك ما يثقل».

طريق الحرية. لكنها حرية الشهوة وليست حرية العقل.

حرية حيوانية وليست حرية إنسانية.

وما هكذا أراد لنا الله الحياة.

لقد خلق الله الإنسان وأراد له أن يتملك نفسه لا أن تتملكه هي، وأعداء الله يسعون لخلق جيل متفسخ هش يقولون له «أنت حر الإرادة» وحقيقة الأمر أنه بلا إرادة. وكيف تقوى إرادته وهو يعيش هوى نفسه.. وعندها تسهل السيطرة عليه لأنه ما تعود السيطرة على نفسه!

زيف الحرية المطلقة

والقول بالحرية قولا مطلقا هكذا فيه خطأ كبير. كيف؟

إن الطفل أو الشاب ليسعد لو حررنا علاقته بأبيه، وسمحنا له بحرية رفض أوامره ونصائحه دون أن نعيب عليه ذلك.

ولكن هل تستقيم الحياة هكذا؟

والدولة تضع القوانين لأفرادها وتتدخل في تنظيم حيـتهم، فلماذا لا نعتبر ذلك خروجا وتراجعا عن مبدأ الحرية؟

والإنسان بطبيعته يحب أن يفعل ما يحلو له ويضيق من أن تحاسبه على ذلك. وما تراه صوابا قد يراه الآخر خطأ، وليس من العدل أن تحاسبني بما تراه أنت.

إذن نحن في حاجة لمقياس يحدد لنا الصواب من الخطأ، والإنسان العاقل الحر يرفض بأباء أن يتقيد بمقياس وضعه آخرون. وهنا تبرز الحاجة لأصل حكيم نحتكم إليه وهو المهيمن علينا وعلى الكون كله.. الخالق سبحانه... نرضخ له لإيماننا بقدرته وحكمته. وهذا هو مفتاح الإيمان بالله.

ولا أعتقد أن أحدا يعتريه أي شعور بالذل أو الضيق لو كان يحتكم - مع الجميع- لحكم خالقهم أجمعين.

فهل يستشعر شبابنا ذلك الإيمان بأن الله هو الخالق؟

لا أعتقد. فلو كان جيلنا يؤمن بذلك حقا، لعمل بأحكام الله وسعي لإقامتها، أو لنقل هكذا أراد له أعداء الله الذين زينوا له تلك الحرية الزائفة وأحاطوه بكل ما يبعده عن الله، فباتت الصلة بينه وبين خالقه مرتخية إن لم تكن مقطوعة تمامًا.

وسقط الإنسان المسكين بنشوة كأس الحرية الذي جعله سهل الانقياد لمن يتولون توجيهه والسيطرة على أموره.

طريق الشيطان هو الذي يضاء له النور الأخضر، فتسير الجموع وهى لا تدرى ماذا ينتظرها عند نهاية المطاف... الحرية في بدايته والفوضى والسقوط والاستغلال في نهايته.

الحرية الحقيقية

وقد ينبري صائحا من كان «كيف ترفض طريق الحرية وتسميه بطريق الشيطان»؟ والحقيقة أن الحرية الحقيقية لا نجدها إلا بانقيادنا لما شرعه الله لنا، والإسلام ما جاء إلا ليحرر الإنسان من عبوديته للإنسان إلى عبوديته

obeikandi.com

لله وحده ولا أراني أشعر بحريتي وأنا قيد نواميس وضعية يحتم عليَّ المجتمع الالتزام بها. فما هي بالحرية تلك التي تبنى على شعارات تطلق ومن ورائها خطط ومناهج وضعت بدراسة فائقة لحشد هذه الجموع في طريق لا يملكون حرية السير في غيره، ولا بأس عندها من منح بعض الحريات التي لا تعرقل السير في ذلك الطريق.

ويفرح الشباب بحرية إطالة الشعر، ولبس العجيب من الثياب، والتحرر من أي التزام خلقي، وتبتهج المرأة لما أعطوها لها من حرية كشف جسدها وإبراز مفاتنها حتى ترضى شعورا حيوانيا يهيج في نفس الرجل. ونسمع عن صانعي (الموضة) وموجهيها في العالم الغربي فنجدهم من رجال اليهود، يلعبون بالمرأة كيفما شاءوا وهى تطير فرحة بحرية التعري التي منحها لها أتباع الشيطان!!

وفى عالم الحرية انقلبت الأوضاع ولم نعد نعرف وجهتنا، واختلف الناس في أمر غاية الحياة.. لم يعيشون؟ وأصبحت تسمع كل الأصوات إلا صوتا واحدًا... هو صوت الله.

ولا أريد أن أزيد. فهو حديث ألم وشجون. ويكفى أن ننظر إلى ما آل إليه مجتمعنا من تأخر وفساد وانحلال وانهيار تام في كل صغيرة وكبيرة.

وليسعد عبدة الشيطان وليصرخ أتباع الشيطان بصرخة النصر، فقد تمكنوا من جذور المجتمع نفسه ولنهتف نحن «مزيدا من الحرية»!!

ولا أحسب أن البعض يظن أن عكس تلك الحرية المزعومة هي العبودية والاستغلال والذل، ففي ظل حكم الله، الناس جميعا سواسية ولا تعطى الفرصة لمن تسول له نفسه بث الفساد وقيادة الجماهير كما تهوى نزعاته، لأننا نحتكم عندها لقواعد وأحكام ثابتة علوية لا يفرضها علينا أحد.

وأي معنى هذا للعبودية إذا تحرر الإنسان من سطوة تفكير العقل البشرى وقوانينه الوضعية، وهى لا تخلو من سقطات إن لم تكن شرور يلبسونها لبوس الحق ولا يفطن لذلك الكثرة؟!

والعجيب أن الأمم في مشارق الأرض ومغاربها... في كل مكان وزمان، تتحيز لمبدئها وتدافع عنه وترفض حرية معاداته ونشر ما يخالفه من أفكار، وقد تتخذ في ذلك أساليب في ظاهرها الحرية وفى باطنها وحقيقتها كل ما يقتل ويذبح هذه الحرية.

ولم نقرأ في التاريخ عن مبدأ فرض نفسه من خلال الحرية التي منحها له أعداؤه.. وإنما القوة -بجانب الحق- هي المعول الأساسي لسيطرة مبدأ معين. وهذه حقيقة تاريخية لا نتفلسف في تفسيرها أو التدليل عليها.

أما نحن فمن الطيبة -بل قل الغفلة والخيبة والغباء- بحيث نسمح، بل نطالب بحرية نشر الأفكار وتطبيقها كل حسب هواه حتى ولو خالفت تعاليم خالق الكون ومُسيره.

والحقيقة أننا لا نسمح ولا نطالب، فنحن لا نملك هذا ولا ذاك، فقد سيطرت قوى الشيطان ولم تعد تنتظر أن نُمن عليها بهذا الحق.

وهى لم تكتف بذلك، بل عمدت لشل تفكير أتباع الله فراحوا يساندونها في دعواها ويتصدون للدفاع عن منحها حرية محاربة الله ونشر الفساد والأفكار الهدامة.. والشاطر من يصمد. هكذا؟!

أى منطق يستند إليه من يؤمن بالله ويعطى الحق لأعداء الله في أن تكون لهم حرية محاربة من يعبدون؟

للأسف إن الحقيقة المُرة أننا بلا إيمان ولا مبدأ، وابتعادنا عن الله يفوق قرب أعداء الله من شيطانهم الذي يعبدون.

ومع هذا فنحن نرضى بالحرية المتساوية فهل هم يرضون؟

إن كلمة الحق لساحقة كلمة الباطل لو تساوت فرص كل منهما في الحياة.

إن من أشد ما يؤلم النفس ويحزنها أن نرى الإسلام قد مُنى بهزائم كثيرة في أمم المفروض فيها أنها حاملة لواء الإسلام والمدافعة عنه.

أذكر أنني -وكنت في أوروبا- أخذت أحدث الناس في الإسلام وتشريعاته السمحة الموافقة لفطرة الإنسان.. لكنى توقفت بعد برهة، فما استرحت لأن يكون حديثي حديث نظريات وأفكار، ووددت لو أن مجتمعا أقام دولته على الإسلام فأشير إليه «هذا هو الإسلام الذي أحدثكم عنه. انظروا كيف أقام دولة لا طغيان فيها للقوى على الضعيف، ولا الغنى على الفقير، كيف نظم الحياة بين البشر مع تباين قدراتهم ومواهبهم».

ولمن أوجه الكلام، لمن أشكو وأنا مسئول قبل غيري عن عذابي هذا الذي أعيشه، فما ينتهي إلا بدعوة الشباب معي لأن نكون كما قال الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ونسير معا نحق ونزهق الباطل، فنحيا كما أراد الله لنا وكما ارتضينا لأنفسنا.. وينتهي العذاب(٤).

---

(٤) الإيمان يشرح الصدر ولا يولد العذاب. وإنما عذابي لأني في صراع دائم مع قوى الشر والتي تواجهني دائما بقوة أخشى أن تضعف من مقاومتي.

لا أحسب أن هذه الحياة التي نحياها نرضى بها الله، ولا أدرى إن كان هذا الأمر أصبح يهم الناس أم لا، حيث أن الكثيرين الآن يعيشون بقواعد ومبادئ وقيم وأفكار غير ما أمرنا به الله، ومنهم من يجد سعادة في ذلك فهو لا يكترث كثيرا إن كان ما يفعله يرضى به خالقه أم لا، لأنه لا يبحث في هذا الموضوع، فقد انسلخ تماما عن رباطه بالله.

والحياة لا تتوقف ولن تتوقف. وبإمكاننا أن نعيش كما نهوى، لكننا لن ننجح. قد ينجح غيرنا. أما نحن فلا.

إن البعض يتجه بتفكيره نحو الحياة في المجتمعات غير الإسلامية، ويظن أنه بقادر على أن يبلغ مبلغها من التقدم والرقى المادي دون حاجة لتوثيق علاقته بالله. وقد يجد من النماذج البشرية في مجتمعه ما يؤكد وجهة نظره، لكنها نماذج فردية قليلة استثنائية. لا تعبر عن المجتمع ككل. والماضى القريب يذكرنا بأننا ما تخلفنا إلا لابتعادنا عن الله. أما مجتمعات اليوم المتقدمة فلا يرتبط تقدمها بمقدار اقترابها من الله، لأنها لم تؤمن بالإسلام أصلاً[٥]، لذلك فهم ينجحون بقدر اجتهادهم. أما نحن فقد عرفنا الحق وتركناه فحق علينا غضب الله، وكتب علينا أن نظل في تخلفنا ما لم نرجع إلى الله ونعيش حياتنا كما أرادها لنا خالقنا.

---

(٥) أقصد الشعوب الحالية لهذه الدول لأن السكان الأصليين للكثير من الدول الإلحادية الآن كانوا من المسلمين ثم تمت إبادة معظمهم وتنشئة جيل جديد لا يعرف عن الإسلام شيئًا.

لقد نجح أتباع الشيطان في غرس وتربية نواة أثمرت شكلا جديدا مختلفا للحياة استتبع بالتالي ضرورة إيجاد مفاهيم جديدة تتطابق وتساير الحياة كما صوروها الآن.

ولعل قضية تحرير المرأة تبرز بشكل حاد ذلك التغيير الذي استتبع الإيمان بمفاهيم شيطانية تحمس لها الناس وفتنوا بها، وما لبثوا أن باتوا في دوامة لا يعرفون كيف المفر منها. لقد أخرجوا المرأة من بيتها بلا ضبط أو ربط، وكشفوا عورتها، وتفننوا في إبراز مفاتنها، وعمموا الاختلاط، وطالبوها بالعمل مثل الرجل. وفرضوا عليها أن تكتسب بعملها، واستدرجوها إلى حيث طالبت بممارسة أي عمل حتى لو كان يخالف طبيعتها وتكوينها النفسي والفسيولوجي..

فماذا كانت النتيجة؟

ثورة ورفض لأحكام الله. ومطالبة بأحكام مخالفة، تسير وتناسب الأوضاع الجديدة.

وإني لأرى الحق كل الحق معهم -ولا أقول معهن- لأنهن ما بدأن شيئا من هذا. وإنما كان الرجل وراء كل تغيير ومطلب نادت به المرأة، بل لنقل أن أعداء الله وأتباع الشيطان دفعوا بالمرأة لحياة ما خلقت لتعيشها، وعندما بدأت طريقها مع الشيطان ما برحت تسعى لنيل ما يؤهلها ويساعدها في المضي في هذا الطريق.

نعم. إنهم محقون إذا ما طالبوا بأحكام جديدة.

الطلاق حق متساو للمرأة والرجل .

المرأة ترث مثل ما يرث الرجل.

الطاعة غير واجبة للزوج.

للمرأة حرية التنقل والخروج دون استئذان.

إلى آخر ما نسمعه الآن ونسمع صرخات الرفض له. ولكن لم الرفض؟

لقد انقلبت الأوضاع وتغيرت الحياة فلم لا تتغير الأحكام؟!

إن تيار المعارضة لن يلبث أن يركد إذا ما عالج القضية على هذا النحو، فليس من الإنصاف أن تبقى الأحكام كما هي بعد أن تساوت المرأة في حمل مشاق الحياة وظنت أنها على قدم المساواة مع الرجل في إمكانياته وقدرته على الإنتاج.

أقول: إن الله وضع أحكاما معينة تناسب حياة معينة، وقد كان ذكاء أعداء الله في أنهم لم يهاجموا تلك الأحكام، ولم يطالبوا بتغييرها، وإنما عملوا على تغيير الحياة بما يستوجب قطعا تغيير الأحكام.. وهذا ما يحدث الآن.

وإني لأرى نقصا وقصورا شديدين في أسلوب مواجهة تيار المد الشيطاني. فالعلاج يكون بالتصدي لما غيروا عليه حياتنا، وليس بالجمود والتمسك بأحكام ما جاءت لمثل هذه الحياة التي أصبحنا نعيشها نتيجة سيطرة حزب الشيطان. إن عودة للحياة الطبيعية كما أرادها لنا الله ستقضي تمام على أي مطلب ودعوة لتغيير أحكامه -جل شأنه- لأن الناس ستجد سعادة وتشعر برضا لهذه الأحكام التي تتفق وحياتهم.

ومفهوم بداهة أن الإسلام لا يحرم تعليم المرأة [٦]، بل يطالب بالمرأة المسلمة المثقفة، ويحدد لها مجالات العمل التي تناسبها ولا ترهقها فتقصر في

---

(٦) «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [رواه ابن ماجه]. نص يشمل الرجل والمرأة باتفاق علماء الإسلام..

وظيفتها الأساسية الأولى في البيت وتربية النشيء، وهي مهمة لا تقل خطورة إن لم تزد عما يقوم به الرجل خارج البيت.

وإذا كانت المرأة المسلمة قد خرجت من بيتها -في صدر الإسلام- للعمل أو الدراسة فقد كان ذلك وفق ضوابط وتعاليم معينة كمنع الاختلاط السافر والاحتشام في الملبس. إلى آخر أحكام الإسلام في ذلك.

والله -سبحانه وتعالى- حينما قال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ لم يتركها دون تفسير أو إيضاح لم هذه القوامة. وإلا كان ذلك هضما لحقوق المرأة -وأستغفر الله أن يظن أحد هذا الظن- لذلك نجد حكمة الله في قوله:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [التوبة ٣٤].

إذن لهذه الأسباب أوجب الله قوامة الرجل على المرأة [٧].

وهكذا يجب أن تكون الحياة وتتوزع الأعمال والأعباء كما أمرنا الله، فتستقيم الحياة، وتستقيم معها أحكامها. فلا نجد من يطالب بتغييرها.

ومثال آخر يوضح هذا المفهوم ونتكلم فيه عن الاقتصاد.

فمعروف أن للإسلام أحكامه الاقتصادية المستقلة عن قوانين الاقتصاد الوضعية من اشتراكية ورأسمالية. بيد أننا نشعر أن أحكام الإسلام

---

(٧) والتفسير يحتاج لصفحات، لكنى أنقل هنا بعض ما جاء في تفسير القرطبي: وقيل للرجال زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء، لأن طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليبوسة، فيكون فيه قوة وشدة، وطبع النساء غلب عليه الرطوبة، فيكون فيه معنى اللين والضعف فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك وبقوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾.

الاقتصادية يجب أن تطبق في مجتمع مسلم يملأ الإيمان قلبه، بل أنها لتفشل إذا ما طبقت في مجتمع لا يدين بالإسلام ولا يتخلق بأخلاقياته. فإن من أهم دعائم الاقتصاد الإسلامي ذلك الشعور بالأخاء والعطف على الفقير والضعيف، والتقرب إلى الله بالصدقة وإعانة المسكين، بل والأهم من ذلك إيمان المسلم بأن المال كله لله وأن للفقراء والمساكين حصة في ماله عليه أن يؤديها لهم، فهو حين يتصدق لا يشعر بتعال عليهم ومكانة أعلى من مكانتهم نتيجة لما يستحوذه من مال.

وهذا كله لن تجده إلا في مجتمع مسلم يؤمن بالله ويرتبط به.

فأحكام الاقتصاد الإسلامي ليست مادية بحتة، وإنما المشاعر والأحاسيس الإنسانية ممتزجة بها ونبع تفيض منها.

وإننا لنجد ذلك واضحًا في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

فجعل الصدقة تطهيرا للنفس ووسيلة للتقرب إلى الله والارتباط به وخلق مناخ من الأخوة والمحبة بين البشر غنيهم وفقيرهم.

إن أحكام الإسلام الاقتصادية تقوم على أصلين لا يفترقان:

الأول: يرتكز على إيمان الإنسان بربه وحبه -أو خوفه- لتنفيذ حكمه. وذلك كما تشير الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة٣٤].

فالمسلم الحق يندفع للإنفاق خوفا من عذاب الله في الآخرة، وهو دافع أقوى من الخوف من جزاء القوانين الوضعية. فالإنسان إذا ارتبط بتلك القوانين فقط، ليستطيع أن يخفى ما يشاء من ماله دون أن تمسه تلك

القوانين، ورسولنا الكريم ﷺ يقول: «**من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان**» [مسند الإمام أحمد].

ومن منا يرضى أن يأتي الله وهو -سبحانه- غضبان عليه؟!

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، وكلها تربى الإنسان المسلم على أخلاقيات سامية يقوم عليها النظام الاقتصادي.

غير أن الإسلام لا يكتفي بذلك، إنما يسن القوانين التي تحمى وتضمن تطبيق أحكام الله. في حين أننا نجد الأنظمة الاقتصادية الوضعية -من اشتراكية ورأسمالية- لا ترتكز إلا على أصل واحد وهو الجزاء الدنيوي- والذي يسهل كثيرا التهرب منه!

وقبل ذلك كله، فإن الاختلاف بين النظام الاقتصادي الإسلامي والنظامين الشيوعي والرأسمالي واضح وصريح. ونكتفي هنا بعرض أسس هذا الاختلاف والتي ترد على جهل الجاهلين الذين يحاولون التوفيق بين الإسلام وقوانين النظم الأخرى:

تقوم الشيوعية على فكرة إلغاء الملكية الفردية. في حين يحترم الإسلام تلك الملكية ويقرها.

﴿**فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة ٢٧٩].

وتقوم الرأسمالية على أساس الربا والاحتكار وقد حرمهما الإسلام.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين**﴾البقرة٢٧٨].

«**من احتكر فهو خاطئ**» [مسلم وأبو داود والترمذي].

فكيف يمكن إذن أن نقارن بين أنظمة تختلف من أساسها؟!

أما من حيث كيفية تنظيم الإسلام للحياة الاقتصادية، فهذا أمر يطول شرحه -وليس هنا مجاله- وفى ذلك علينا أن نبحث في أمور: الكسب - الرزق- الإنفاق -الميراث- بيت المال -الزكاة- الضرائب التصاعدية - حقوق الفقراء- الحرية المقدسة -الملكية الفردية -تدخل الدولة في ظروف معينة- استغلال النفوذ -واجب الدولة في تأمين السلع الحيوية- العلاقة بين صاحب العمل وموظفيه وعماله. .. إلى آخر هذه الأمور التي درسها المسلمون وعملوا بأحكامها وأقاموا بها دولة وصلت لحد المثالية.

وفى ذلك يقول يحيى بن سعيد «بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم، فلم نجد فقيرا ولم نجد من يأخذها منا، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس».

ألا من عودة إلى الله، نعود بها لعزنا ومجدنا؟!

ولا أريد أن أستطرد في الأمثلة وعرض النماذج. فخلاصة القول أن حياة صاغها الله لنا يجب أن نعيشها، وجهود المسلم يجب أن تتجه لإقامة هذه الحياة، وتوجيه البشر في طريق الله، بدلا من التفرغ لمناقشة الهوامش حيث لا فائدة من ذلك ما دامت البشرية تسير في طريق الشيطان.

والقضية لا تنتهي هكذا فالأخطر والأكثر إيلاما من ذلك، حياة المسلم الذي عرف الحق واهتدى للإيمان وارتبط بالله. كيف يعيش؟!

ما زلت أتذكر توبيخه ومهاجمته لي في أول لقاء معه، ولم يمنعه عن ذلك كونه في السنة الإعدادية وكنت أنا في السنة النهائية بالكلية، حيث

يتحرج -عادة- الوافد الجديد للجامعة من معارضة من سبقوه إليها، ولكن هذه هي أخلاقيات الإسلام، لا يهاب المسلم أحدا في قول الحق.

وقد احترمته رغم اختلافي معه فيما ناقشناه من قضايا.

وحكي لي قصته مع الإيمان، وقد تولد لديه كرد فعل قوى لحياته السابقة اللاهية. وأحسب أنه بدأ يفكر وينظر في حياتنا بما فيها من مظاهر الابتعاد عن تعاليم الله فآثر التقوقع والابتعاد وأحاط حياته بسياج يفصل بينه وبين المجتمع من حوله.

لم يعد يستمع للراديو لأن في برامجه وأغانيه ما يخرج عن دائرة الأخلاقيات الإسلامية.. امتنع عن المشاركة في أي جلسة قد لا تلتزم التزاما كاملا بالخلق الإسلامي كوجود أخت لا ترتدي الزى الإسلامي مثلا. بل أنه توقف عن ركوب وسائل المواصلات العامة لما يحدث فيها من خدش للأخلاق والحياء.

ولا أدرى أين وصل به الحال الآن، وهل ما زال على أسلوبه هذا في الحياة. إلا أنه قد اعترف لي بعدم قدرته على الاستمرار في مظهر واحد على الأقل وهو استخدام المواصلات في تنقلاته، فكان أن عاد لاستخدامها بعد انقطاع ما يقرب من ثلاثة أشهر!

هذه الصورة لحياة شاب يحاول الارتباط بالله، كثيرا ما نراها، ونتيجتها النهائية المحتمة هي ابتعاده عن المجتمع وعدم مشاركته في مناقشاته. بل وقد يكون نهايته التوقف تماما عن الدعوة حماية للنفس من أن تلاقى موقفا لا ترضاه.

والمسلم في عصرنا هذا حائر قلق، فبينما يحل له الله زينة الحياة ويدعوه للتمتع بنعمها، يفرض عليه مجتمع حزب الشيطان صورة سيئة كريهة لأسلوب الترويح عن النفس.

ولنضرب الأمثلة:

يحتاج الإنسان للراحة بعد عناء العمل فيتجه وأسرته إلى حيث الهدوء والنسيم اللطيف عند شواطئ البحر مثلا، وأرى من حقه أن يفترش الرمال مستمتعا بأشعة الشمس وجمال الطبيعة فيما خلقه الله.

فماذا يحدث؟

تقع عيناه على أجساد شبه عارية كلما التفت ليمناه أو يسراه، فإذا ما أراد الاستحمام تعرض لأن يلتصق جسده بهذه الأجساد!

والمرأة من حقها الاستمتاع أيضا. وكنت أسمع عن مواعيد خصصت لها لنزول البحر يمنع فيها الرجال من التواجد على الشاطئ، ثم ؟.. ألغيت هذه المواعيد!!

ونسمع عن شواطئ معينة تمتاز بصفاء وجمال الطبيعة ورونق منظرها، فإذا ما استأجر مسلم قادر مكانا فيها، أحاطه من كل جانب مجموعة من حاملي دعوة الفساد والانحلال ممن يطلقون عليهم اسم «فنانين وفنانات»[8] فيسمع ويرى ما يغضب الله وهو ما جاء إلا للاستمتاع بلهو برئ لا يحرمه الله.

---

(٨) اللفظ ليس مطلقا. وإنما أقصد فئة معينة، لاشك أن القارئ يعلمها!
فالإسلام لا يحرم الفن. يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه «منهج الفن الإسلامي»:
والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام!
وهو على وجه اليقين ليس الوعظ والإرشاد والحث على أتباع الفضائل. وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجردة، مبلورة في صورة فلسفية فليس هذا أو ذلك فنا على الإطلاق!
إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصوير الإسلامي لهذا الوجود.
هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.

والموسيقى ليست محرمة[٩]. إن كثيرا من المؤلفات الموسيقية الهادفة تمتع النفس وترهف الأحاسيس بل وأحيانا تضفي على سامعها روح الإيمان بأعظم وأنبل المبادئ والأخلاق. فهل يجد المرء المناخ السليم العفيف للاستمتاع بهذا اللون من الفن الجميل؟

إن الشاب منا ليذهب -وقد عبد الله في عمله وأدى فروضه- للترويح عن نفسه بسماع الموسيقى في قاعات العزف، فيجد من مظاهر الانحلال فيمن يشاركونه جلسته ما يشعره بالغربة والنفور من هذا المكان.

والله يحب المؤمن القوى، ورسوله دعانا لممارسة الرياضة. ويقرر الشاب الاشتراك في أحد النوادي الرياضية، وهو بالطبع لن يقيد نفسه بمسار محدد من منزله حتى مكان اللعب دون أن يتنزه في أرجاء النادي وحدائقه، وعندها تطبق على أنفاسه رائحة الانحلال الخلقي المتعفن والتي تملأ أجواء النوادي الحالية، مما أبعد الكثير من الأسر المسلمة من ارتياد هذه النوادي.

ولا أدرى لماذا لا تخصص نوادي للرجال وأخرى للنساء؟!

ثم عن ماذا أكتب وأتحدث؟

إن أتباع الشيطان لم يدعوا مجالا للترفيه والاستمتاع إلا وصبغوه وأحاطوه بأقذر ألوان الانحلال والانحطاط الخلقي، وفرض على الشاب لو أراد أن يحيا حياة المسلم أن يمنع نفسه من الترويح وأن يعيش حياة أقرب إلى الرهبانية.

بل إن الأمر لم يتوقف عند حد الترويح والترفيه -والذي قد يعتبره البعض أمرا ثانويا وما هو بذلك- فقد فرض المجتمع على الإنسان المسلم

---

(٩) ناقشت هذا الموضوع بالتفصيل تحت عنوان "التطرف في التحريم".

أن يتعامل أحيانا كثيرة بغير ما تحدده له أحكام ربه. ولعل صورة التعامل مع البنوك توضح ذلك، حيث يضطر المسلم وهو يحفظ أمواله فيها -حماية لها من السرقة والتبديد- أن يقبل بمبدأ التعامل بالربا.

والأمثلة كثيرة ولا تنتهي. .. بل إنني أنظر فلا أرى جانبا من حياتنا إلا ونضطر فيه للخروج عن دائرة الله في تعاملاتنا، وهذا أمر طبيعي في دنيا يسيطر فيها حزب الشيطان ويخط للناس حياتهم.

والمنكر يراه المسلم في كل جانب من جوانب الحياة الآن ولا يستطيع إزاءه شيئا!

وهكذا أصبحنا نعيش في صراع بين أنفسنا وبين ما يأمرنا به الله جل شأنه.

وفى ظل سيطرة حزب الشيطان ينجح أعضاؤه وأتباعه في الوصول إلى قمم المجالات المختلفة إن كانت أدبية أو علمية.

وفى مجال الأدب بالذات وتخصصاته المتنوعة تبرز أسماؤهم وتفرض نفسها على المجتمع، وينشئ الطفل ويكبر حتى يصبح شاب نافعا مدركا وهو لا يقرأ إلا لهم، حتى ليكاد يجهل أي كاتب لا يسير في اتجاههم ويظن الشاب أن ما بين يديه هو قمة الفكر وكأنه «ليس في الإمكان أبدع مما كان»!

وبذلك يهبط المستوى وينحدر، وينفك الرباط بينه وبين خالقه تدريجيا، فالسموم تنساب إلى عقله مع كل كتاب يقرؤه من مؤلفات تلك المجموعة الشيطانية.

كنت في جلسة مع مجموعة من الشباب ونقدت أحد الكتاب المعاصرين ممن يعتبرهم المجتمع أحد قمم الفكر وإذ بالدهشة تصيبهم والاستنكار يعلو وجوههم.. فهم ما تصوروا أن ينقد شاب متواضع في مجال الكتابة «قمة» من قمم الفكر المعاصر!!

openkandil.com

وأخذت أوضح لهم وجهة نظري وحيثيات حكمي على ذلك الكاتب، وكيف أنه لا يرتبط بأي فكر على الإطلاق.. وكثيرا ما يبث سمومه في كتاباته، مثلما قارن مؤخرا بين الإسلام والثورات العالمية وأدخل الإسلام ضمن الثورات العديدة التي قام بها الإنسان على مر التاريخ. وهو بهذا في غاية الخبث والدهاء فمأربه من ذلك أن يحطم الإسلام تماما. فهو يعترف أن أي ثورة تمر بمراحل عديدة إلى أن تستقر ثم تتجدد وتتبدل، فإذا كان الإسلام ثورة -كما يدعى- فإنه قد انتهى وأدى دوره من زمن بعيد وآن له أن يتجدد ويتبدل!

والحقيقة التي نذكرها أن الإسلام أسمى من أي ثورة فهو دين الله وليس ثورة تستقر وتنتهي وتتبدل.. وإذا كنا نذكر أن الإسلام ثورة دائمة فإننا نعني بذلك ثورة على الفساد والطغيان وأتباع الشيطان في كل زمان ومكان.. ولا نعنى إطلاقا بالثورة ذلك المعنى الذي يفهمه الكاتب وأمثاله.

إن قصة أبي ذر الغفاري المظلوم التي دلسوا فيها بين عطائه الاختياري وبين ما يأخذونه عنوة وظلما وغصبا منتهكين أقدس حريات الإنسان التي قدستها جميع الأديان دون استثناء -هذه القصة تشير إلى مدى التلاعب والتحريف في المعاني والأحكام الإسلامية على يد ما يطلق عليهم «رجال الفكر»[١٠].

فالفرق كبير بين العطاء الاختياري وبين عمليات النهب والسلب التي يذهبون لجعلها شريعة شيطانية وقانونا ينسخون بها شريعة الرحمن الخالق.

---

(١٠) يصف بعض المخرفين مواقف الصحابي الجليل أبو ذر باليسارية، ويدعون أنه ﷺ يمثل اليسار الإسلامي! وذلك لأنه كان يهتم بقضية إنفاق المال ومحاربة قيام مجتمع ينقسم بين أغنياء يحبسون الثروات، ويستأثرون بها، وفقراء لا يجدون.
راجع في ذلك رسالة «أبو ذر والحق المر» لمحمد جلال كشك.

أردت -باستطرادي هذا- أن أشير لمدى الضلالة التي تغلف عقول شبابنا. فقد شل الشيطان تفكيرهم فغفلوا عن أساسيات الحكم على الأشياء كما ينميها فينا الإسلام، ولو فهمت هذه العقول لرفضت أي كاتب أو مفكر -كما يسمون أنفسهم- لا تنساب كلماته وأفكاره من منبع الإيمان بالله..

ولكنى أعود فأقرر أن الشباب مظلوم.. ونحن نظلمه أكثر لو قذفناه بالتهم هكذا دون أن نستكشف الدافع لاتجاهه في طريق الشيطان.

إنها -كما قلنا- الحياة في ظل الشيطان.. يخطط أتباعه بدقة وينفذون مخططاتهم بقوة تستند لسيطرتهم على منابع التوجيه.

وهم يعلمون تماما مدى هول المعركة التي يتصدون لها، ومدى شراسة المقاومة التي ستبرز وتتصدى لهم في حالة ما إذا كشفوا عن أوراقهم مرة واحدة.

وهم لذلك يتبعون خطة جهنمية بعيدة المدى، لا يشعر أحد بخطورتها لأنها لا تضرب مرة واحدة، وإنما بالتدريج وعلى مراحل إلى أن تتم لهم السيطرة الكاملة بعد أن يتشبع جيلنا بأفكارهم فيعيش الحياة التي أعدوها له... والتي تدور حول محور واحد... هو الابتعاد عن الله. تماما مثلما قرروا تعرية المرأة فبدأوا أولا بكشف شعرها ثم تقصير ملابسها شيئا فشيئا حتى تدرجوا إلى أن أصبح المكشوف من جسد المرأة أكثر من المستور[11]! وما كانوا لينجحوا في ذلك -ولا كانت النساء ستستسلم لهم- لو بدءوا بالحد الأقصى من أول الأمر.

ولكي أوضح ما أقول فإنني أشير إلى أسلوبهم الخبيث في فرض موضوعات معينة يجد الشاب نفسه مضطرا لمتابعتها، بل وربما الاهتمام

---

(١١) من المؤكد أن من ترفض الزى الإسلامي اليوم سترتديه لو أصبح في يوم ما هو «الموضة» عند أسيادها في الغرب!!

بها.. فمثلا نجد أن جميع المسابقات في البرامج المختلفة تدور أسئلتها حول موضوعات غاية في التفاهة والاضمحلال الفكري، وهى ولا شك محاولة غير مباشرة لإيهام الشباب أن هذه هي الأفكار والمعلومات التي يجب عليه أن يعيش بها ويهتم بمعرفتها، وعلى العكس من ذلك لو كانت أسئلة هذه المسابقات تتناول الأحداث الإسلامية وسيرة رجال الإسلام وتاريخ المسلمين في جهادهم لإعلاء كلمة الحق، لاهتم الشباب دون أي توجيه مباشر بدراسة كل ما يرتبط بالحياة الإسلامية.

كذلك فإننا نجد معظم البرامج تستضيف أرباب الفكر المنحل في مجتمعنا حيث نستمع لحوار غاية في السذاجة والتضليل الفكري ويفرض علينا -وبمساعدة وسائل الإعلام الأخرى- أن نقف على أدق تفاصيل حياتهم الخاصة التي يتأثر بها أطفالنا وشبابنا، ويكونون لهم المثل والنموذج اللذين يصبحان فيما بعد هدف كل شاب.

بل إن الأمر لم يتوقف عند حد تغيير وتشويه المفاهيم الأصيلة في مجتمعنا والممتدة عبر الحضارة الإسلامية العظيمة، فقد دأبوا على فسخ الأساس لحضارتنا حينما حاول بعض العابثين منهم إحلال العامية التي تعبر عن جهلهم محل الفصحى وهو اتجاه في غاية الخطورة، ولو استمر -كما هو مخطط له- لأدى إلى تفكك وانهيار الرابطة بين المسلمين في الوطن العربي[١٢].

وهم لخبثهم في هذا المجال لا يدفعون شبابا ناشئا لبدء هذه المرحلة من مخططهم للقضاء على اللغة العربية.. وإنما يتصدى لها كبار ذيولهم الشيطانية

---

(١٢) تظهر خطورة عدم الالتزام باللغة العربية الفصحى في الوطن العربى بالذات لأنها اللغة الرسمية في هذه البقعة من الأمة الإسلامية. .

التي فرضت نفسها على الشباب بعد أن أصبح لا يقرأ إلا لهم.. وفى النهاية ينشأ جيل غريب عن لغته وبالتالي غريب عن دينه وحضارته وتراثه الفكري.. ثم ماذا يتبقى بعد ذلك ؟!

وفى ظل هذه الحياة وتحت السيطرة الشيطانية يجد الشاب المسلم نفسه غريبا في هذا المجتمع.. بعيدا عن زملائه، فهو لا يتكلم كما يتكلمون، ولا يفكر كما يفكرون، ولا يهتم بما يهتمون به.

يرفض الاعتراف بامتياز فرد لمجرد إجماع الناس عليه، لأن مقياسه غير مقياسهم، هم يحكمون بما يفرضه عليهم أسيادهم في الخارج ثم الداخل، ولا يلبثون أن يقتنعوا به من الإفراط في التكرار -بالإضافة إلى أهمية وخطورة الدعاية في هذا الصدد- أما هو فلا يأبه بذلك كله، ولا يحيد عن مقياس ربه وخالقه في الحكم على الأشياء. فالمسلم له ضميره ووجدانه وعقيدته السماوية يلتزمها ويحقق بهذا الالتزام سعادته.

التطرف في التحريم

في مواجهة المد الشيطاني يتحتم علينا أن نشير لقضية بالغة الخطورة. فإزاء ما آلت إليه مظاهر حياتنا، ظهرت دعوات متشددة، عرج أصحابها إلى أسلوب خاطئ للنجاة والتصحيح، فراحوا يدلون بآرائهم الخاصة بالتحريم باجتهادات قد تخطئ حتى نفروا الشباب من الإسلام وصوروا لهم حياة جافة قاتمة لمن أراد أن يرتبط بالله.

«وإذا كان الإسلام قد نعى على من يحرمون ومن يحللون جميعا، فإنه اختص المحرمين بحمله أشد وأعنف نظرا لما في هذا الاتجاه من حجر على البشر، وتضييق لما وسعه الله عليهم بغير موجب»[١٣].

---

(١٣) «الحلال والحرام في الإسلام» للدكتور يوسف القرضاوي.

وقد ذم النبي ﷺ المتنطعين وأخبر بهلكتهم إذ يقول: «**ألا هلك المتنطعون. ألا هلك المتنطعون. ألا هلك المتنطعون**»(١٤) [رواه مسلم].

إن اتجاه هذه الفئة من رجال الدين يضر بأكثر مما ينفع، فهم لأنهم عاجزون أو لنقل غير جادين في العمل على تغيير مظاهر الحياة التي استفحلت بسيطرة أعداء الله، رأوا أنه من الأسهل إصدار فتاوى التحريم.

وهم قد يعتقدون أنهم بذلك قد حموا الشباب من السقوط وحموا الإسلام من أن تمسه تيارات الانحلال الشيطاني، والحقيقة أننا قد نجد بعض العذر لديهم، فإن ألوان الحياة اليوم قد اصطبغت بالتحليل الشيطاني مما يدفع الغيورين على دين الله بالتركيز على تصحيح الوضع وذلك بالاهتمام بجانب التحريم لأننا نعانى من الانسلاخ عن قيم ديننا أكثر من أي وقت مضى.

غير أنني أرى في هذا المنطق أضعف الإيمان، وقد يكون أضعف الإيمان في عصرنا هذا هو أقصى ما يصل إليه المرء، والأفضل منه بل والمطلوب والواجب على المسلمين أن يتمسكوا بأحكام الإسلام الأساسية الصحيحة ويكونوا أشد إيمانا وقوة لفرض مظاهر الحياة الإسلامية في مجتمعاتهم.

إن الإسلام حينما يرفض دعوة المحرمين للتمتع بزينة الحياة، فإنه يضع ويسن هذا المبدأ للحياة في ظل الله وإقامة أحكامه وصبغ كل ما يرتبط بالنشاط البشرى بالصبغة الإسلامية، وفى مجتمع إسلامي كهذا يكون التحريم منطلقا فعلا من فكرة التنطع والتشدد، وهذا ما يرفضه الإسلام بل -وكما رأينا في الحديث الشريف- يحاربه بشدة وإذا كنا نؤكد على أن هناك

---

(١٤) الذين لا يأخذون بظاهر الأمر، وإنما يأخذون غير الظاهر بالتأويل الخاطئ.

فرقا شاسعا بين منطلق التحريم في المجتمع الإسلامي المرتبط بالله، وبين منطلق التحريم النابع من الخوف على الإسلام في مجتمع نفك من ارتباطه بالله، فإن هذا لا يعنى أبدا القبول بحد أو درجة «أضعف الإيمان» ولا يجب أن تخيفنا السيطرة الشيطانية ونكتفي بحماية أنفسنا ونستغني عن رخصة أحلها الله لنا.

إن الاقتناع والاكتفاء بدرجة «أضعف الإيمان» في هذا المجال بالذات يدفع المسلم لقبول هذه الحياة ما دام قد أحاطها بالفتاوى التي تحميه من شرورها، وبالتالي لا يهتم كثيرا بقضية التغيير التي يجب أن تكون الشاغل الأساسي للمسلم حيث تعود السيطرة الربانية لتوجه وتسير بالمجتمع نحو الخير والرخاء والطمأنينة.

والمسلم لا يجب أن يكون أنانيا فيقنع بمجرد نجاحه في حماية نفسه في مجتمع تحيطه مظاهر الانحلال، بل عليه أن يصل للحالة التي تمده بالقوة لتغيير هذه المظاهر، وبهذا يساعد مجموعات كثيرة من الشباب على الرجوع لله ويكفيها شر الصراع الذي كانت تعانيه في محاولتها الالتزام بتعاليم الله أثناء حياتها في ظل الشيطان.

هذا هو التحدي الذي يجب أن يواجهه كل من ارتضى الإسلام دينا. أما الهروب بتحريم كل شيء وإقناع النفس بقبول هذا الاتجاه، فهو أمر أشبه بالحلول الوسط بل وقد يضر أحيانا كثيرة وتكون نتائجه بعكس ما يعتقد صاحبه.

إن هناك أمورا كثيرة تفجر قضية «الحلال والحرام» في أيامنا هذه. وأحب أن أشير لبعض منها إشارة سريعة معتذرا من أن يكون بعضها لا

obeikandl.com

يدور في دائرة الاهتمامات الأساسية لمجموعات من الشباب، لكنها قد تساعد في توضيح الفكرة العامة.

وأبدأ بالحديث عن الموسيقى، لأنني أعتقد أنها أرقى وأهذب أشكال اللهو. ولا يجب أن تزعجنا أبدا كلمة «اللهو» فإن لها التفسير المختلف كل الاختلاف عن تفسيرها الشيطاني الذي يربط بين اللهو وبين كل ما هو حرام.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة، ما كان معهم من لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو**»! [البخاري].

وقد يدرج البعض الرياضة ضمن قائمة اللهو، لكني أراها شيئا ضروريا، حتى أن رسولنا الكريم ﷺ قد أمرنا بممارستها، حيث قال: «**علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل**»[(١٥)].

أما اللهو فيختلف باختلاف أمزجة الناس، وهو أمر شخصي لا يصح لأحد أن يتدخل لفرض ما يحبه على الآخرين.

وأحب أن أؤكد هنا -بل وأتشدد في التأكيد- على أن اللهو الذي أقصده هو المباح داخل الإطار الإسلامي فقط، لأن التلاعب بالألفاظ هنا يتيح لدعاة الشيطان الفرصة لجذب الشباب نحوهم متظللين بستار كلمة «اللهو» وعندها تفقد الكلمات معناها ويضيع المعنى ويتغير، وينسى الشاب أن كلمة «اللهو» في القاموس الشيطاني تعنى «الحرام» في القاموس الإلهي. وكل ما أرجوه أن يكتشف الشباب عن معاني الكلمات في القاموس الإلهي حتى ينعموا بما أحل لهم خالقهم.

---

(١٥) قال السخاوي ضعيف وله شواهد، وكتب عمر رضي الله عنه إلى الشام «علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية».

وحديثنا عن الموسيقى. ونقول: إن هناك من يحرم الاستماع إليها ويتصدى لمن يحللها، ويتبارى الفريقان في تفسير الأحاديث المرتبطة بهذا الموضوع والكل يعتقد بقوة سنده وصحة تفسيره. لكنني أشعر أن من يحرمونها قد رأوا ما يخالط الاستماع للموسيقى من جو لا أخلاقي فآثروا أن يحرموها كلية.

وهذا خطأ. أو ضعف في مواجهة واقع يجب أن يتغير. والواقع السليم ليس حراما، فأين الحرام في استماع الإنسان إلى مقطوعة موسيقية مهذبة خالية من الابتذال الرخيص الذي يثير شهوات النفس ويدفعها للحرام؟!

على أن الأمر ليس متروكا لاجتهادي الشخصي، لذلك فإنني سأحاول أن أستعرض في السطور التالية آراء بعض الفقهاء في سماع الموسيقى والغناء: في كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» لعبد الرحمن الجزيري، يذكر لنا المؤلف آراء الأئمة الأربعة في باب «حكم الغناء»:

الشافعية:

قال الإمام الغزالي في الإحياء: النصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب. على أنه قسّم الغناء إلى أقسام كثيرة فذكر منها ما يترتب عليه فتنة أو محظور ديني أو كان بألفاظ مستهجنة في نظر الدين. وقال إن هذا القسم هو الحرام. فمراده بالرقص الحركات التي يفعلها الرجال الذين لا يتصور فيهم شهوة أمام مثلهم. أما رقص النساء أمام من لا يحل لهن فإنه حرام بالإجماع.

وقال إن الذي نقل عن الإمام الشافعي من أن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل لا ينافى إباحته لأنه إنما يريد القسم الممنوع منه.

الحنابلة:

قالوا لا يحل شيء من العود والزمر والطبل والرباب ونحو ذلك.

الحنفية:

قالوا التغني المحرم ما كان مشتملا على ألفاظ لا تحل.

ويكره تحريما عند الحنفية ضرب الأوتار من الطنبور والرباب والقانون والمزمار والبون.

المالكية:

قالوا إن آلات اللهو المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه خاصة كالدف (الطبل) والغربال (الطار) إذا لم تكن فيه صلاصل والزمارة والبوق إذ لم يترتب عليها إلهاء كثير ويباح ذلك للرجال والنساء.

وبعضهم يقول أنه يجوز ذلك في العرس وعند العقد وفي كل سرور حادث فلا يختص بوليمة النكاح.

ومن كتاب «الحلال والحرام في الإسلام» للفقيه الكبير الدكتور يوسف القرضاوي ننقل هذه السطور:

قال بعض العلماء: أن الغناء من (لهو الحديث) المذكور في قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾**.

وقال ابن حزم: إن الآية ذكرت صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف إذا اتخذ سبيل الله هزوا ولو أنه اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذه هزوا لكان كافرا، فهذا هو الذي ذم الله عز وجل، وما ذم سبحانه وتعالى قط من اشترى لهو الحديث ليلتهي به ويروح عن نفسه لا ليضل عن سبيل الله.

ورد ابن حزم أيضا على الذين قالوا إن الغناء ليس من الحق فهو إذا من الضلال قال تعالى: ﴿فَماذا بعْدَ الْحقِّ إلاَّ الضَّلالُ﴾ قال: «إن رسول الله ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية فهو فاسق، وكذلك كل شيء غير الغناء -ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل، وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها، وقعوده على باب داره متفرجا وصبغة ثوبه لا ورديا أو أخضر أو غير ذلك».

أما العلامة الشيخ محمد الغزالي فقد كفانا مشقة البحث فيما ورد في تحريم الغناء من أحاديث حينما ذكر في كتابه الشهير «السنة النبوية بين أهل الفقه.. وأهل الحديث» رأى الإمام ابن حزم: «قال ابن حزم عن تحريم الغناء: لا يصح في هذا الباب شيء أبدا، وكل ما ورد فيه موضوع، والله لو أسند جميعه أو واحد منه عن طريق الثقات إلى رسول الله ﷺ ما ترددنا في الأخذ به»(١٦).

وننتقل لكتاب «المنتقى لأخبار المصطفى ﷺ لابن تيمية» (الجد). وننقل الحديثين الآتيين: عن عمر بن يحيى المازني عن جده أبي حسن أن النبي ﷺ كان يكره نكاح السر حتى يضرب بدف ويقال: «**أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم**» [رواه عبد الله بن أحمد في المسند].

وعن ابن عباس قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله ﷺ فقال «**أهديتم الفتاة**»؟ قالوا: نعم، قال: «**أرسلتم معها من**

(١٦) مقولة الشيخ الغزالي الشهيرة في الغناء: «والحق أن الغناء كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح».

يغنى»؟ قالت: لا. فقال رسول الله ﷺ «**إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم**» [رواه ابن ماجه].

ورواه البخاري عن عروة عن عائشة «أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار» الحديث فقال ﷺ: «**فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغنى**»؟ قلت: تقول ماذا؟ قال: تقول:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم ... ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

ولولا الحنطة السمراء ... ما سمنت عذاريكم

يعلق ابن تيمية: «وفى قوله (جارية) أي فتاة من فتيات الحي لا نساء فاجرات خبيثات قد اتخذن الفجور حرفة لهن، فإن الله ورسوله يلعنان من يُدخل أولئك الفاجرات في بيته، وتشتد اللعنة إذا هو زعم أن في هذه الأحاديث حجة له على فجوره. لأن في ذلك تحريف للنصوص وأتباع للهو فاتقوا الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون».

ثم نجد في كتاب «عمدة القاري» (شرح صحيح البخاري) اختلافا للمفسرين لكلمة اللهو في آية ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ...**﴾ فقال ابن مسعود: الغناء وحلف عليه ثلاثا وقال: الغناء ينبت النفاق في القلب، وقاله مجاهد أيضا. وقيل الاستماع إلى الغناء وإلى مثله من الباطل، وقيل ما يلهاه من الغناء وغيره. وعن ابن جريج الطبل: وقيل الشرك. وعن ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا. وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر إلى فارس فيشترى كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

وأخيرًا نجد في تفسير «روح المعاني» ما يشير إلى اختلاف العلماء في هذا الموضوع: «واختلف العلماء في حكمه فحكي تحريمه عن الإمام أبى حنيفة ﷺ القاضي أبو طالب والقرطبي والماوردي والقاضي عياض..»

«أما التغني وحده بالأشعار لدفع الوحشة أو في الأعياد والأعراس فاختلفوا فيه، وفى» الدر المختار «التغني لنفسه لدفع الوحشة لا بأس به عند العامة وصححه العيني، وغيره قال: «ولو فيه وعظ وحكمة فجائزا اتفاقا ومنهم من أجازه في العرس كما جاز ضرب الدف فيه ومنهم من أباحه مطلقا ومنهم من كرهه مطلقًا».

ويقول الماوردي: إذا قلنا بتحريم الأغاني والملاهي فهي من الصغائر دون الكبائر وإن كان في حادث سرور فهو مباح إن أمنت الفتنة وكان ما يتغنى به جائز الإنشاد ولم يغير فيه اسم معظم ولم يكن سببا للازدراء به وهتك مروءته ولا لاجتماع الرجال والنساء على وجه محظور، وإن كان سببا لمحرم فهو حرام وتتفاوت مراتب حرمته حسب تفاوت حرمة ما كان هو سببا له.

وبعد؛ فإن المكان لا يتسع هنا لذكر كل ما كتب في هذا الموضوع وعليه فإنني أرى ما يلي:

١) الملاحظ في كتابات المحرمين أنهم ربطوا في تحريمهم بين الموسيقى والغناء وبين أشياء أخرى محرمة كشرب الخمر ومداعبة النساء في مجالس الاجتماع، ولا شك أن الموسيقى والغناء في هذه الحالة يصبحان من المحرمات.

لكن علينا في نفس الوقت أن نفرق بين أساس الشيء وما يضاف إليه، فالأساس في الموسيقى حلال أما الحرام فهو أن تستمع لها في حضور راقصة

مثلا، أو أن يُغنى بها كلمات تخرج عن أخلاقيات الإسلام وآدابه، أو أن تشغلك وتشدك بعيدا عن طريق الله وهي قاعدة إسلامية نرتبط بها في أعمالنا كلها وليس في حالة الاستماع للموسيقى فقط.

إن العلم ليتجه أحيانا في اتجاه ضار بالبشرية فهل معنى ذلك أن نحرم العلم؟!

٢) لم أجد نصا صريحا لرسول الله ﷺ يحرم الموسيقى والغناء تحريما مطلقا.

٣) إذا كان الإسلام يحرم الموسيقى و لغناء لوجدنا ذلك في نص واضح كنصوص تحريم الخمر. فالخمر محرمة في جميع الأحوال. ولا يوجد في الإسلام شيء محرم في حالة ومباح في حالة أخرى. ومن غير المعقول أن يبيح رسول الله ﷺ الغناء والموسيقى في الأعياد والأفراح إذا كانتا تدخلان أصلا في دائرة الحرام. وكيف نتصور ذلك وقد استقبل المسلمون رسول الله بالغناء «طلع البدر علينا. ..»؟.

٤) إن الإسلام حينما يبيح الموسيقى والغناء فإنه يضع لذلك شروطا كعدم إتيان حركات منافية للذوق والآداب الإسلامية وأن لا تلهى العبد عن ذكر ربه وإقامة فروضه. وأن لا تشغل نسبة كبيرة من وقت الإنسان.

٥) من المهم أن نفهم روح النص ولا نتوقف عند حرفية الكلام. فالبعض يبيح الضرب بالدف -استنادا للنص- ولا يبيح العزف على «البيانو» مثلا. وهنا يجب أن نفهم المعنى الإسلامي في ذلك، والذي يهدف إلى تهذيب النفس. فرب عازف على الدف يثير الشهوات بعزفه، وعازف على البيانو لا يثير أي شهوة على الإطلاق. فماذا يكون حكمنا عندئذ؟.

٦) لا يصح أن يكون عمل الإنسان الوحيد الذي يتكسب منه هو الغناء أو العزف.

٧) الإسلام يبدأ بتربية الفرد وإرساء قواعد أخلاقية عامة في نفسه، حتى يطمئن بعد ذلك لسلوكه العام في حياته والذي يرتبط دائما بالحلال كما فهمه من دينه. والنفوس والطبائع تختلف من إنسان لآخر، وحتى في دائرة الحلال قد يشعر المسلم بأنه يأتي عملا منكرا فيتجنبه فورا. فمثلا قد يستمع الإنسان لعزف معين يبيحه الإسلام بصورة عامة، إلا أنه يشعر عند سماعه بشعور قد يثير فيه شهوة ما أو رغبة لاسترجاع مواقف قد تكون مكروهة إسلاميا. في هذه الحالة يتوقف المسلم عن السماع. ومن المغالطة عندها أن يعمم موقفه هذا فيحرم على الناس ما حرمه على نفسه ما دام في الأصل قد أباحه الله.

٨) استنادا للمفهوم السابق فإن البعض لا يتضرر ولا يشعر أنه يسيء لإسلامه عند سماعه عزفا منفردا لبعض الآلات الموسيقية، كذلك سماع ما يعرف باسم «السيمفونيات» وسماع بعض المغنيين وهم يتغنون بالتواشيح الدينية ومدح رسول الله. بل قد نجد في بعض الأغاني الأجنبية ما يدعو لتعاون البشر وعمل الخير ومساعدة المحتاجين -مما لا نجده للأسف في أغانينا العربية- فأين الضرر من إباحة سماع مثل هذه الأغاني؟!

٩) ليس معنى هذا أن نسمح بكل أنواع الموسيقى والغناء على أساس الثقة في أن المسلم لن يستمع إلا للحلال منها. فهذا يتنافى والمبدأ الإسلامي في النهى عن المنكر. لكن أليس من السخرية أن نكتفي بالحديث ولا نسعى للتسلح بالقوة حتى نتمكن فعلا من وقف المنكر وإباحة الحلال من اللهو كما يحدده لنا الإسلام ؟!

فإذا تحدثنا عن السينما، فإننا لا نجد أي نص صريح بتحريمها.

لكن الصحيح الذي يقال أن ما يعرض من أفلام الآن يعتبر حراما.

أما مبدأ مشاهدة السينما نفسه فلا يملك أحد أن يحرمه، ولو كان أتباع الله من القوة -كما يريدهم خالقهم- لتمت لهم السيطرة على واحدة من أخطر وسائل الشيطان، ولتحولت السينما إلى جهاز للتثقيف ونشر الوعي الديني ومعالجة المشاكل الحقيقية التي تواجه الشباب.

وعمل المرأة. لا شك أن كثيرا منه الآن يخالف أحكام الله. ولكن هل معنى هذا أن نسمع من يحرم عمل المرأة تماما، بل وقد يصل الجهل ببعضهم لحد الاستياء من تعليمها؟!

ثم لا أدرى بأي سند يحرم البعض الاختلاط كلية. هل لأن الاختلاط بصورته الحالية لا يقره الدين، نغالي نحن أيضا ونخطئ فنحرم الاختلاط؟

لقد كانت المرأة المسلمة تتسوق وفى ذلك اختلاط، وكانت تحضر جلسات الدرس وفى ذلك اختلاط. بل إنها ناقشت سيدنا عمر بن الخطاب حتى قال لها ﷺ: «**أصابت امرأة وأخطأ عمر**».

ولا أشك أن أحدًا يعتقد أن الإسلام يوافق على الاختلاط كما نراه الآن... لكن من المؤكد أن الإسلام أباح الاختلاط في حالات معينة، لذلك فمن الأجدى أن ندرس ونتحرى عن مفهوم وقواعد الاختلاط في الإسلام[١٧]، ونطالب بها ونطبقها، بدلا من التسرع في إصدار المنع -أو الإباحة- كلية.

---

(١٧) مفهوم الاختلاط في الإسلام يختلف عما تراه الآن. فقد أباح الإسلام للمرأة أن تخرج لتشترى وتبيع وتدرس وتناقش وتشترك في الحروب. لكن في نفس الوقت وضع حدودا دقيقة واضحة يجب أن تطبق في حالة الاختلاط، كبقاء المرأة في الصفوف الخلفية إن كان ذلك في الصلاة أو الدرس أو حتى الحرب.

إنني لا أميل إلى أسلوب التهرب من مواجهة الواقع مهما كان مُرا.

والحقيقة أن الإسلام لا يعانى قدر ما يعانيه من عدم فهم أنصاره لروحه وتعاليمه السمحة. لنعمل على تغيير واقع حياتنا ولنحطها بمظاهر الإيمان والقوة لنصرة الحق، فإن أتباع الله إذا ما سيطروا لاستطاعوا أن يوجهوا المجتمع للفضيلة ويقيموا الأحكام السليمة الصحيحة الخالية من تحريم التمتع بزينة الحياة، والمبتعدة أيضا عن الإسفاف في اللهو والمغالاة فيه.

إنها الحياة.. يجب أن نعيشها. بل نحن أحق من غيرنا بها. إن أتباع الشيطان ليسعدهم كثيرا أن يروا الشباب المسلم وقد آثر الانغلاق على نفسه والابتعاد عن مشاركة الناس حياتهم ومناقشة مشاكلهم... فتعقد المؤتمرات والندوات، وتذاع التسجيلات، وتقام المباريات، وتغنى الأغاني، وتعزف الموسيقى، فلا نجد من المسلمين من يشترك ويفرض رأيا أو حكما أو فنا إسلاميا.

لماذا لا تكون لنا مؤتمراتنا القوية ذات الصوت المسموع؟

لماذا لا يكون لنا دورنا في برامج الإذاعة والتليفزيون؟

بل لماذا لا تكون لنا أغانينا التي تتغنى بسيرة المسلمين الأفاضل وتدعو للأخلاقيات والمبادئ والقيم الإسلامية؟

=ولنتأمل سمو الآداب الإسلامية في حديث رسول الله ﷺ: عن أبى أسيد قال، قال: رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال: «استأخرن فليس لكن أن تحققن الطريق. عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها» [أخرجه أبو داود].
وتحقق الطريق أي تركن حقها وهو وسطها.

لماذا لا نقدم للناس نماذج للترفيه العفيف كما يراه الإسلام حتى لا يعتقد المترددون أن الضحك والابتسامة لا تعرفان طريقا لحياة المسلم؟

لقد فرض علينا الاختلاط في الجامعة. فهل نمتنع عن التحدث مع أخت لنا لمجرد أنها لا ترتدي الزى الإسلامي؟!

والشباب من حولنا: في الجامعة. في النادي. في الطريق العام.. لا يلتزم بأحكام الإسلام ولا يتخلق بأخلاقياته، فهل نتجنب محادثتهم؟!

إني لأقولها بكل صراحة: إن تجربتي المتواضعة في التحدث والجلوس مع مختلف الناس قد أفادت الدعوة للإسلام بعكس ما يعتقد البعض أنها تضرها. وكل ما أرجوه أن يتفهم الشباب المسلم الحكمة من الأحكام وأن يحاول دائما الارتباط بروح الحكم، فإنني رأيت من يبدأ حديثه مع زميل له بقوله: «تارك الصلاة كافر» وليته ما أفزعه هكذا من أول الأمر، بل أخذ بيده وحدثه حديثا لطيفا سمحا مريحا، فلربما صلى معه فريضة قد تعقبها فريضتان إلى أن يؤدى فروض الصلاة كلها وفى وقتها إن البعض وهو يدعو، تتمثل أمامه صورة المسلمين الأوائل، الذين كانوا إذا ما أنزل حكم الله في شيء يلتزمون به فورا ويطبقونه دون تردد أو مناقشة .

لكننا أيضا لا ننسى قبول رسول الله ﷺ لمن جاءوه يريدون الإسلام دون الالتزام ببعض أركانه؛ فقبلهم الرسول ما داموا سيقيمون الصلاة، وسط دهشة عمر بن الخطاب حيث قال له الرسول الكريم ﷺ: «صلاتهم ستنهاهم».

وليس معنى هذا أن نعده مسلما من يقيم الصلاة فقط. وإنما أردت أن أعرض نموذجا للدعوة قد يضطر المسلم للأخذ به في إحدى مراحل دعوته.

نحن بحاجة للمسلم الواعي الفطن المتفهم لروح عصره، والذي لا ينسى وهو يدعو الله أننا نعيش في عصر السيطرة فيه لحزب الشيطان، يبث

سمومه في عباده من يوم يولدون. ولا شك أن الالتزام بتعاليم الله وأحكامه أمر هام ومطلوب، بيد أننا لا ننسى أننا في إيماننا درجات، ومن المغالطة والسخف أن تشكك في إيمان إنسان لا يلتزم قدر التزامك ما دام يؤدى الفروض الأساسية.

هل هو إسلام جديد؟!

وإذا كنا قد أشرنا إلى جانب من صورة حياة المسلم اليوم، فإن الجانب الآخر أشد اهتزازا وخطرا على كيان الإسلام.

وأقصد به ما نراه من تحلل بعض المسلمين من بعض الأحكام الصريحة، ومحاولة الادعاء بفهم روح الحكم بما يخالف نصه تماما.

إن من أخطر ما يواجه الشباب، الانسياق وراء تيارات التفسيرات المختلفة المتسترة خلف ألفاظ مبهمة وشعارات زائفة، مثل ما نسمعه عن تطوير الإسلام ومرونة أحكامه التي تناسب كل عصر.. وهى لكل عصر فعلا ولكن بقوتها واحتفاظها بحدودها.

أما هذا الاتجاه فإنه يسعى لخلق مفاهيم إسلامية جديدة توافق وتلائم الحياة الآن بكل ما فيها من مظاهر الابتعاد عن الله، بدلا من تصحيح مسار الإنسانية الذي انحرف عن طريق الحق، والتمسك بأحكام الله بما فيها من تسامح ويسر، بغير أن نخرج عن دائرة الله.

ومن أخطر مفاهيم تلك المجموعة ما يتعلق بما يسمى «قضية تحرير المرأة».

فإذا كانت للمرأة -في أوروبا- قضية، فإن الإسلام قد حرر المرأة واحترمها منذ أربعة عشر قرنا، إلى أن جاء أرباب الفكر المستورد من المسلمين وأوجدوا للمرأة قضية وراحوا يدفعونها للتمرد على طبيعتها وتكوينها الذي خلقها الله عليه.

وقد سمعت مؤخرًا -في برنامج للإذاعة- إحدى زعيمات المرأة تقول: «عندما سافرت لأوروبا، وجدت الناس هناك يعتقدون أن المرأة المصرية مازالت متخلفة. لكنهم دهشوا عندما علموا بتحررنا ورأوا بأنفسهم أن المرأة المصرية أصبحت ترتدي الملابس على أحدث صيحات الموضة».

إذن فهذا هو مفهوم التحرر عند المرأة اليوم: أن تكشف أكبر مساحة من جسدها!! ومصيبتنا أننا نقلد دون أي تبصر. لا يدفعنا لذلك شيء إلا أن يقال علينا أننا قد أصبحنا نعيش كما يعيش الأوربيون!

فإذا تركنا جانبا قضية الزى -والذي لا شك أن حديث تلك الزعيمة فيه يدل على مدى تفاهتها وسطحية تفكيرها- فإننا نرجع القضية إلى أساسها ونقول: لقد بدأت الأصوات تعلو مطالبة بتحرير المرأة -في أوروبا- مع مطلع عهد الثورة الصناعية وكان الهدف من ذلك استغلالها في زيادة الإنتاج، وهو ما كان يهتم به الرأسماليون حتى لو أدى ذلك إلى إجهاد المرأة وتحقير آدميتها، وتعريضها للمشاق وذل السؤال وتفتيت أواصر الأسرة. فذلك كله لا يهم صاحب الإنتاج ولا يقيم له وزنا بجانب اقتناء المال.

وكان أن خرجت المرأة من بيتها مرغمة من أجل زيادة المال للرأسمالي، وبأجر أقل مما يتقاضاه الرجل(١٨) وبدأت المرأة -هناك- رحلة الكفاح من أجل الحصول على حقوق وفرها لها الإسلام وهى جالسة في بيتها. وقد يتعجب البعض من أن المرأة في أوروبا كانت -وإلى عهد قريب- لا تستطيع أن تتصرف في مالها، في حين أعطاها الإسلام حق التملك والتصرف في مالها مباشرة دون أي وسيط.

---

(١٨) ما زالت أجور المرأة -في بعض مناطق أوروبا وغيرها- أقل من أجور الرجل.

وإذا كان الغرب قد فرض على المرأة أن تخرج من بيتها وتتكسب من عملها، فإن الإسلام قد نظر للمرأة نظرة أسمى وأرفع من ذلك بكثير.

فالمرأة المسلمة لا تحتاج للعمل لكي تحصل على المال، فذلك واجب الأب -ثم الزوج- نحوها. وعلى الرجل أن يسعى خارج البيت ويجتهد في العمل، ثم يقدم للمرأة ما تحتاج إليه لأنها في نظر الإسلام أقدس وأسمى من أن تشقى لتوفر لقمة العيش. بل إن المجتمع ملزم بكفالتها وأولادها في حالة وفاة الزوج أو الأب.

وفى الدولة الإسلامية يغطى (بيت المال) نفقة من لا عائل لها .

إن نظرة الغرب للمرأة تدل على مدى تحكم المادية في إرساء معالم أخلاقياته وتشريعاته بعكس المجتمع الإسلامي الذي يهتم بآدمية وإنسانية الإنسان.

غير أن البعض يدعى أن عمل المرأة يوسع آفاقها. لكننا نتساءل: ألا يمكن تحقيق ذلك بالدراسة فقط دون العمل؟ لقد خرجت المرأة في عصرنا للعمل، فأين هي من ثقافة ومعرفة المسلمات في الدولة الإسلامية واللاتي كن يفسرن القرآن ويدركن معاني الأحكام والتشريعات التي تسير المجتمع؟.

ومع ذلك، هل منع الإسلام المرأة من أن تعمل؟

كلا. لكن بالقدر الذي لا يؤثر على عملها الأساسي في تربية الأجيال. فالبقاء في المنزل هو الأصل، والخروج منه -لمقصد مشروع- هو الفرع.

والرسول الكريم ﷺ يقول **«لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن»** [أبو داود].

فإذا كان رسول الله يفضل أن تصلى المرأة في بيتها، فما بالك بحال العمل وهو أقل شأنا من الصلاة؟

إن المنزل هو مكان المرأة لقوله تعالى:

﴿لا تُخْرِجُوهُنّ من بُيُوتهنّ وَلا يخْرُجْن﴾ [الطلاق ١].

﴿وقرْنَ في بُيُوتكُنّ﴾ [الأحزاب ٣٣].

﴿واذْكُرْنَ ما يُتْلى في بُيُوتكُنّ﴾ [الأحزاب ٣٤].

فالبيوت مقرونة دائما بضمير النسوة، ومعنى هذا أن المرأة لا تخرج من بيتها إلا للضرورة ومن الأفضل أن يكون عملها -لو كانت تملك الوقت لذلك- في بيتها. وبإمكانها أن تتكسب منه وهى في المنزل وبإذن زوجها أما العمل خارج المنزل والذي يتخذ صفة الدوام للتكسب فغير جائز.

كما أن هناك تحديدًا لنوعية العمل الذي يسمح به للمرأة كالتعليم والطب والجهاد في سبيل الله وإصلاح المجتمع:

﴿والْمُؤْمنون والْمُؤْمناتُ بعْضُهُمْ أوْلياءُ بعْض يأْمُرُون بالْمعْرُوف وينْهوْن عن الْمُنْكر﴾ [التوبة ٧١].

وروى البخاري وأحمد عن الربيع بنت معوذ قالت "كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة".

وفى غزوة أحد، قال رسول الله ﷺ في نسيبة بنت كعب:

"ما التفت يمينا ولا شمالا إلا رأيت نسيبة تقاتل دوني".

فأين نساؤنا المتعلمات المثقفات العاملات من هؤلاء النسوة؟

إنه من المخزي أن نرى المرأة اليوم تنساق وراء مخططات الرجل والذي يدفعها للعمل في المتاجر والسفارات وأعمال «السكرتارية» والخدمة في المقاهي والفنادق والمواصلات... ولا يخفى على أحد مقصد الرجل من ذلك!!

لكن، لماذا اكتفى الإسلام بعمل المرأة في بيتها، ولم يسمح لها بالخروج إلا في حالات وظروف معينة؟

«لقد كان من حكمة الإسلام وأصالته أنه حين تعرض لتقرير مكان المرأة في الحياة تعرض له على أساس الواقع من تقويمها، أو تكوينها الفطري الجامع لخصائصها الروحية والحسية. فأعلن إنسانيتها التي تستوي فيها مع الرجل، وأعلن وصفها الخاص الذي تنفرد به عنه باعتبارها أنثى. وفى تشريعه لكل من هذين الوضعين لم يقصر بها عن الوضع الذي قررته الفطرة لإنسان، ولم يجاوز بها المدى الذي رسمته الطبيعة للأنثى (١٩)».

إن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي خلق. وهو أعلم بخلقه وبما ينفعهم ويناسبهم. وأحكام الإسلام هي أحكام الله.. حدد بها إطارا لحياة المرأة، كما حدد إطارا لحياة الرجل، ومع هذا لا نجد بأسا من الاستشهاد بأقوال بعض من وقفوا على حكمة الله في خلقه وأحكامه.

يقول العالم الكيس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»:

«للغدد الجسية وظائف أخرى غير دفع الإنسان لإتيان عمل من شأنه حفظ الجنس. فهي تزيد أيضا من قوة النشاط الفسيولوجي والعقلي والروحي. فليس هناك خصي أصبح فيلسوفا عظيما أو عالما خطيرا أو حتى مجرما عاتيا، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية.. إنها تولد الخلايا الذكرية والأنوثية، وهي في الوقت نفسه تفرز في الدم مواد معينة تطبع الخصائص الذكرية والأنوثية المميزة على أنسجتنا وشعورنا. وتعطى جميع وظائفنا صفاتها من الشدة -فالخصية تولد الجرأة

(١٩) من مقال للأستاذ البهي الخولي.

والقوة والوحشية وهى الصفات التي تميز الثور المقاتل عن الثور الذي يجر المحراث في الحقل..

ويؤثر المبيض في جسم المرأة بطريقة مماثلة، ولكن عمله يستمر فقط إبان جزء من حياتها. فحينما تبلغ المرأة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشيء.

إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية، ومن وجود الرحم والحمل، أو عن طريق التعليم. إذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك.. إنها تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماتية محددة يفرزها المبيض. ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا وأن يمنحا قوى واحدة ومسئوليات متشابهة. والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل. فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها. والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها وفوق كل شيء، بالنسبة لجهازها العصبي. فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبي.. فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها. ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي. فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة".

وإلى هواة التقليد، نسوق لهم قول الكاتبة الأمريكية -فيليس ماكنجلي-: «وهل نعد نحن النساء -بعد أن نلنا حرياتنا أخيرًا- خائنات لجنسنا إذا ارتددنا لدورنا القديم في البيوت؟».

وتجيب قائلة: "إن لي آراء حاسمة في هذه النقطة فإنني أصر على أن للنساء أكثر من حق في البقاء كربات بيوت.. وإنني أقدر مهنتنا وأهميتها في الحقل البشرى إلى حد يملأ الحياة والقلب».

وتضيف: «وإذا قيل لنا على نحو تعسفي. أن من واجبنا أن نعمل في أي مكان آخر غير المنزل، فهذا لغو زائف، فإنه لا يوجد عمل يستحق أن يمزق شمل الأسرة من أجله»[٢٠].

وأود هنا أن أسجل إجابة على سؤال وجهته لعدد من طالبات كلية الهندسة بجامعة القاهرة[٢١] وكان سؤالي: «هل تتركين عملك إذا وفر لك زوجك دخلا ماديا كافيا؟».

وكانت المفاجأة أن أجابت أكثر من ٧٠ ٪ منهن بالإيجاب.

هذا رأى من يدرسن الهندسة، فما بالك بمن يدرسن دراسات لا تؤثر تأثيرا مباشرا في عملية الإنتاج؟!

ليت كل فرد في المجتمع يتقى الله في تفكيره، ويعيش كما حدد له خالقه.

ولتخرس الأصوات التي تدفع المرأة للمطالبة بتحريرها. فحريتها الحقيقية في أن تكون معززة مكرمة مصونة في بيتها.. تدرس وتتثقف لتربى أجيالا تقود مجتمعاتها للرقى والخير والرفاهية في ظل عبادة الله.

... ونمضى مع ذلك الاتجاه الإسلامي الجديد، والذي قرأت لبعض قادته من أن الرقص مباح وليس بحرام ما دامت الأجساد لا تلتصق ببعضها وهى ترقص.. وأن كشف الفتاة لعورتها جائز ما دام بغرض الرياضة.. وأن احترام المرأة لملبسها أمر كاف ولا داعي للالتزام حرفيا بالزى الإسلامي، ولا يخفى على أحد أن كلمة «احترام» هذه نسبية وتتغير بتغير الأحوال والظروف!!

(٢٠) مجلة المختار مارس ١٩٦٠.

(٢١) في مجلة حائط كنت أصدرها بعنوان «آراء حرة» وكان ذلك عام ١٩٧٠.

كذلك نجد منهم من يبيع دينه من أجل مكسب دنيوي يناله من رضي أصحاب الأمر عليه، كالذي أجاز شهادات الاستثمار محددة الفائدة وهي ربا حرمها الله ورسوله. إذ فرق ما بين الحلال والحرام أن يتحول السند إلى سهم له في الربح وعليه في الخسارة.

وما هذه إلا إشارة، وإنما الأخطر منها التحدث عن أحكام الإسلام السياسية والاقتصادية بما يساير ما يشيعه حزب الشيطان. فيدعى البعض أن (محمدًا) هو أول من دعا للاشتراكية، مع أن لفظ «اشتراكية» لم يرد في تاريخ الإسلام قط [٢٢].

---

(٢٢) يعيب علينا من يدعون المعرفة والثقافة تمسكنا بالألفاظ. ويتهموننا بأننا نهتم بالشكل لا بالجوهر. وتصل الحماقة ببعضهم أن يصف الإسلام بأنه دين اشتراكي. ويضيفون أن قوانين الإسلام هي الاشتراكية بعينها.
وبغض النظر عن الجهل الفظيع الظاهر في هذا القول، والذي يصححه الواقع الإسلامي الحق الذي يتنافى كلية مع القوانين الاشتراكية التي تعامل الإنسان من حيث أنه مادة فقط -فإن دأبهم على وصف الأحكام الإسلامية بصفات لفكر وضعي بهرهم انتشاره في المجتمعات الإلحادية- في الشرق والغرب على السواء، يدل هذا على مدى تفسخ شخصيتهم وانعدام ثقتهم في أحكام دينهم. وإذا استسلمنا لدعوتهم، فمعنى هذا أن نغير من اسم الإسلام كلما ظهر فكر إنساني جديد يتفق مع الإسلام في إحدى جزئياته! .
ومن المضحك والغريب أن يكون الاتهام صادرا منهم ضدنا. فإذا كانوا هم لا يهتمون بالألفاظ، فلماذا غيروا اللفظ الأصلي -الإسلام- وتشدقوا باللفظ الجديد -اشتراكية الإسلام-؟!
هل أصبحنا نخشى اتهامنا بالتخلف -من قبل أعداء الله- لدرجة أن نضيف ألفاظهم لتراثنا إرضاء وإعلانا عن خضوعنا لهم؟!

ويمضى بهم الشوط إلى حد أن ألف أحدهم كتابا أسماه «الميثاق والقرآن» وكأنه أراد أن يؤكد التوافق بين كلام السماء وكلام الأرض..أحكام الخالق وآراء المخلوق.

إننا نرفض عن إيمان بالله واعتزاز بكل ما نملك، أن نحور فيه ونغير، وقد قال الله تعالى:

﴿ومن لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة ٤٥].

﴿ومن لَّمْ يحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة ٤٧].

إنها قضية خطيرة تواجه الشباب وتفقده القدرة على تبصر الحق من الباطل والصواب من الخطأ.

لقد امتلأت المكتبة الإسلامية بمؤلفات لكبار أدعيا الإسلام تطرح تصورا مشبوها لطبيعة الأحكام الإسلامية.

وأصبح الشباب حائرا أيهما يصدق، وأي الطريق يسلك، ولا يزال القلق يعترينا والحيرة تتملكنا، فلا نطمئن إلا لكتابات أئمة الإسلام الذين عاشوا حياتهم في ظل حكم الله، ولم يمسهم لهيب الحرية الشيطانية الزائفة.

أما هؤلاء المنافقون... الكاذبون... المخادعون... فإننا نسألهم ماذا تريدون؟

أهو إسلام جديد.. أم هوى للنفس تلبسونه لباس الإسلام وتقدمونه للناس إطارا يحيطهم وهم في طريق الشيطان سائرين؟!!

obeikandi.com

لقد أنزل الله أحكامه بالقرآن وهو الكتاب الوحيد الباقي للإنسانية دون تحريف مسه أو تغيير طرأ عليه. وليس أبشع من جريمة يراد بها تأويل أحكام الله وانتهاك دائرة الحق والانقضاض على حدودها.

... وينحرف الشباب

إن الأساس الإسلامي وهو يتعرض لموجات الخيانة تلك، وحلقات التجمد الخانقة من جهة أخرى، قد أثمر شبابا مهتز الثقة بقدرته، فاقد الحكمة في البحث والاختيار، مترددًا بين الحق والباطل.

وإننا لنلمس انهيار الشباب وانحرافه في كل فئة وطبقة، لكن أشد ما يحير النفس أن نجد كثيرا من أبناء رجال الأزهر والمختصين بالدراسات الدينية لا يلتزمون التزاما كاملا بالإسلام، وأحيانا ما نجدهم في طريق الشيطان سائرين. وهذا شيء لمسته بنفسي لأنني أعرف الكثيرين منهم.

وأستطيع أن أؤكد أن مرجع سلوكهم هذا هو نتيجة لأسلوب الدعوة من ناحية، ولطبيعة الحياة التي يوجهها أتباع الشيطان من ناحية أخرى، فإننا نرى الأب يدعو أبناءه للالتزام بتعاليم وأحكام الإسلام التزاما كليا، ويفرض عليهم أن يعيشوا في ظل هذه الأحكام. وفى خضم الحياة يرى الأبناء في تصرفات أبيهم ما يناقض ما يدعوهم له، خصوصا أن الضوء يسلط دائما على تصرفات وأعمال رجال الدين[٢٣]، ويكون حسابهم أشد وأعسر. وهم بشر، لا يملكون إلا أن يعيشوا في ظل الأحكام التي يفرضها عليهم من يتسلط ويوجه، وعندها يفقد أولئك الأبناء ثقتهم في صدق

---

(٢٣) إن صح هذا التعبير، فالحقيقة إننا نستخدمه في وصف وتسمية من تخصص في الدراسات الفقهية، لأنه لا يوجد في الإسلام رجل دين وآخر لا علاقة له بالدين.

أقوال آبائهم، فتبدأ مرحلة الشك ثم الرفض الذي ينتهي بهم لسلوك الطريق الآخر.. طريق الشيطان.

وفى حالة التزام الأب وتمسكه بالصراط المستقيم، يبرز التناقض الحاد بين ما يدعو له الأب وما يراه الإبن طفلاً -ثم شابًا- خارج البيت.

فالأب بحكم دراسته الدينية وارتباطه بالله يتشدد في دعوة أبنائه وإجبارهم على الالتزام بشيء قد لا يستطيعونه، فيتمزق الشباب بين الخوف من تهديد أبيه وعدم قدرته على الحياة كما يريدها له، فينتهي به الأمر إلى الانهيار. وبدلا من أن يصل لدرجة الالتزام الكامل، نجده يفقد ما كان قادرا على الالتزام به، وكما نرى فإن العامل الرئيسي ومحور الضياع في الحالتين هو تأثير سيطرة حزب الشيطان ودفعه للشباب في اتجاه تياره، وما كنا لنفقد هذه المجموعة الكبيرة من الشباب لو كانت السيطرة لأتباع الله.

إنني لا أنكر وجود الشباب الفاهم لدينه. المرتبط بالله، الملتزم بأحكامه.. ولكن هؤلاء كم يُمثلون؟ وما مدى قوتهم وهم غائبون عن مواقع التأثير والتوجيه؟ والناس كيف تنظر إليهم ؟.. لقد انعدم فهم العامة للإسلام حتى أنهم إذا ما رأوا شابا يصلى انفرجت أفواههم دهشة وإعجابا. فقط لأنه يصلى!

... وسادت مفاهيم شاذة غريبة.

لو اقتصر الأمر على صنفين من الناس: مع الله أو مع الشيطان، لاسترحنا واستطعنا تقييم الناس وتصنيفهم وفق ما يؤمنون به.

لكن ماذا تقول في راقصة تبدأ رقصتها قائلة: «توكلت على الله»!!

ونسمع (فنانة) تتكلم عن عزمها إقامة (ملهى) وتؤكد أن «كله بإذن الله، وإن شاء الله ربنا يوفقنا في إدارة الملهى».. والأعجب أن نرى إنسانًا

يمضي بخطى ثابتة وطيدة في طريق الشيطان ثم يؤكد أنه ما نجح إلا بتوفيق الله له ووقوفه سبحانه بجانبه. هل هي شخصيات مزدوجة؟! هل من الممكن أن تكون أعمالك شيطانية وأقوالك ربانية؟ أصحيح ما يبدو لنا من إيمان الشخص بالله في الوقت الذي ترتبط أعماله كلها بالشيطان؟

لا أعتقد.

إنني أرفض من يعتنق المبدأين معا، لأنه في الحقيقة تابع للشيطان.

فالإيمان بالله لا يترك مجالا للشيطان يعبث في النفس ويجردها من ارتباطها بالله.

وهؤلاء -من يعتنقون المبدئين- يتحرجون الإفصاح عن اتجاههم الشيطاني الوحيد، لأن المجتمع يفرض مظاهر وعادات عامة يلتزم بها الجميع حتى لو فقدت معانيها وترجمتها العملية الفعلية في حياة الإنسان.

وهذا ما يحدث الآن بالنسبة لعلاقة المجتمع بربه، التي تحسبها قوية عميقة لما تسمعه من عبارات ما فتئ القوم ينطقون بها وهم لا يشعرون ولا يفهمون واقعا لها في حياتهم.

وهؤلاء -أيضًا- شياطين في الأرض يبغون الفساد، فهم لا تعجزهم الكلمات دائما لتبرير أعمالهم، وحجتهم الرئيسية في ذلك أنهم بشر، ومن منا لا يخطئ، ومن منا لا يرتكب المعاصي؟!

هذا صحيح، ولا ننكر أننا جميعا خطاءون فرسولنا الكريم ﷺ يقول «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٢٤].

---

(٢٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه وله شوهد.

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه عز وجل قال: **«أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك»** [صحيح مسلم].

ولكن ما بالهم تأخذهم الصفاقة فيعلنون عن معاصيهم ويعتدون بفعلها؟

إن المؤمن ليخطئ ويرتكب المعاصي، لكنه يندم على ما فعل ويتوب فيغفر له الله، وهو يشعر بقبح ما فعل في لحظة سقوط، ويتألم أن يراه البعض وهو في حالة انهياره هذه -وهى لحظات نادرة في حياة المسلم الحق- لذلك فهو يخفى نزواته عن الناس، فالإنسان يحب دائما أن يراه الآخرون بلا عيب أو نقص. وهذا ليس نفاقا لأننا نعلم جميعا أن النفس البشرية معرضة للإنزلاق والإنحراف، فإذا ما أغلقنا الباب في وجه الفاحشة لكان ذلك أدعى لحماية النفس وهى تغالب الشيطان.

والمرء الذي يخطئ وتزل قدماه في لحظة، لا يضر المجتمع إلا بمقدار تأثير هذا الخطأ عليه هو وحده. أما إذا أبان للمجتمع خطأه وتصل السفالة أحيانا لحد الدعوة له والتباهي بفعله فإن تأثير الخطأ على المجتمع يكون أكبر وأشد، تبعا لتفاوت كثرة من يحذو حذوه في ارتكاب الخطأ.

وأحيانًا يتفلسف البعض ويدعو لمفاهيم غريبة لا معنى لها، لكن القطيع وهو يسير في طريق الشيطان لم يعد يعقل ويفطن لما يقال له.

ومن أشد الدعوات خبثا وضلالة، ما يزعمونه من أن الإيمان في القلب، والإنسان بجوهره لا بمظهره. بمعنى أن ترتدي الفتاة ما يكشف عن معظم جسدها ولا نعيب عليها ذلك، لأن قلبها مفعم بالإيمان! وهذا تعليل لا يستند لأي منطق، وهو من السخف بحيث لا نجد ضرورة لتفنيده، وإن كنا نؤكد فقط على أن لكل جوهر مظهر يدل عليه، والإعلان عن جوهرك بمظاهر معينة يؤكد اقتناعك والتزامك ورغبتك في تجسيد هذا الجوهر وتلمس آثاره عندما يخرج للحياة، وهذا هو المنهج الإسلامي الذي يتمثل في القول المأثور «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل»(٢٥)، وأتباع الشيطان يلتقطون الشق الأول فقط ويقدمونه للناس على أنه مفهوم الإيمان، فهم كمن يقرأ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ وتقف ألسنتهم ولا تكمل ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾!

ومن الاتجاهات الشاذة في تناول الموضوعات عقد مقارنة بين ظاهرتين لا علاقة لإحداهما بالأخرى، ويستتبع ذلك الانتهاء لنتيجة لا شك أنها خاطئة، حيث كانت نهاية لبداية غير سليمة، ومن ذلك من يقارن بين إنسان يصلي ولا يتأدب في معاملاته مع الناس، وآخر لا يصلي ويتأدب معهم، وتنتهي المقارنة بتفضيل الثاني، وبالتالي طرح الصلاة جانبا ما دامت لا تفيد.

وهذا أسلوب جاهل غبي في التفكير.

فالإنسان يلتزم بواجبات يؤديها نحو ربه وأخرى نحو البشر.

والذي يقصر في واجباته نحو ربه لا ننتظر منه أن يؤديها كاملة في تعامله مع الناس إلا إذا وجد منفعة تعود عليه من ذلك. أما ذلك الفرد

---

(٢٥) حديث رسول الله ﷺ في هذا المعنى: «**الإيمان عقد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان**» [رواه ابن ماجه].

الذي لم يفطن لأبعاد واجباته نحو ربه -لأي سبب من الأسباب- فلا عجب إن وجدته حسن الخلق أحيانا في معاملاته لأن العلاقة الوحيدة التي يشعر بها ويعيشها هي علاقته بالناس والتي قد تتأرجح بين الخير والسوء.

وقد تجد من يصلى فعلا دون أن يتأدب فهل معنى هذا أن ننكر عليه صلاته؟ صحيح أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، لكن لعله في أول الطريق وقد تنهاه صلاته مستقبلا، ولاشك أنه قد بدأ الخطى في الطريق السليم الذي يصله بالله. أما إذا استمر على حاله بالرغم من صلاته، فهي ولا شك صلاة غير التي حددها الله لنا. وإننا لنعلم أن المرء قد يصلى إلى أن يموت ثم لا تقبل صلاته يوم الحساب.

إذن من المغالطة أن نستشف آثار الصلاة في حياة إنسان لمجرد أنه يركع ويسجد كالآلة الصماء. ثم أن المقارنة غير صادقة من أساسها لأنها تناقش حالات شاذة في كلا الفريقين ولا أرى هدفا من عرض مثل هذه النماذج من المناقشات غير تفتيت وحدة الدين والإيهام بضآلة تأثيره في تربية النفس وتهذيبها.

إلا أن جوهر القضية ليس في محاولة إنكار أهمية الصلاة وسائر العبادات فقد أصبحت أحكام وتشريعات الله غائبة معطلة حتى كاد الناس أن ينسوا لها وجودا، أو هكذا صوروا لهم علاقتهم بالله بأنها صلاة وصوم وحج ثم لتسر الجموع يسارا أو يمينا فهذا من شأن البشرية!

***

Obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الثاني

obeikandl.com

obeikandl.com

هذا الدين:

﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم ٣٠].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل ٤٠].

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة ٣٠].

﴿كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان ٢].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور ٤١].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران ١١٠].

هذه آيات من كتاب الله -وغيرها كثير- يقف عندها المسلم ويتدبرها فيدرك الحقيقة التي بدونها لا تستقيم حياته ولا يهنأ في معاشه .

والإنسان الذي لا يفكر في حياته ويتفهم حقيقتها، لا يستحق أن يعيشها، بل لا معنى لحياته على الإطلاق لا فرق في ذلك بينه وبين الدواب.

وقد جاء الدين الإسلامي ليوضح ويكشف عن الحقيقة الثابتة في حياة الإنسان. وبدون فهم حقيقة هذا الدين، تبدأ وتنتهي حياة الإنسان عبثا مهما بلغ من الرقى المادي الذي لا يغنى عنه شيئا ولا يقدم له بديلا عن السعادة الحقيقية بإدراك سر الحياة.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ هذه هي البداية.

إنها إرادة الله التي أوجدت هذا الكون وسيرته وفق أحكام ونواميس معينة لا تختل أبدًا.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ فالله هو الذي خلق وقدر.

ونحن لا نملك إلا أن نعيش وفق قدره. ومهما تنكر الإنسان واستكبر، فلن يستطيع أن يخرج عن حدود السيطرة الإلهية فهي لا نهائية لا يحدها أي حد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فالكون كله وحدة متصلة أصلها واحد. لا شريك لله في ملكه. فالكل يسبح له ويعبده وينتهي إليه. والإنسان جزء من هذا الكل وحياته طرفا في هذه الحياة التي تسير وفق ما يشاء لها خالقها.

﴿وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

والأرض جزء من هذا الكون. والإنسان فيها هو السيد. هو خليفة الله الذي أناب له الله -سبحانه وتعالى- تغييرها والسيطرة عليها وعبادته فيها.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ إذن هذه هي الغاية من خلقنا وتواجدنا على الأرض. إنها عبادة الله. فإذا عشنا بتفسير غير هذا التفسير، لكن في الواقع أبعد ما نكون عن فهم رسالتنا وهدفنا في هذه الحياة.

﴿فِطْرتَ اللهِ الَّتِي فطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فالحقيقة إذن ليست بغريبة عنا أو بعيدة منا. فبالفطرة الإنسانية نصل إليها. لأننا في النهاية نريد أن نصل إلى الله، وفطرتنا في ذلك هي فطرة الله.. هي القوة التي أودعها الله فطرة الإنسان لتعينه على الوصول للحقيقة.

كيف إذن نهتدي لهذه الحقيقة؟

﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام ١٢٥].

﴿قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد ٢٧].

والآية الأخيرة صريحة محددة في أن الله يهدى عبده إذا أناب إليه أمره.

أما إذا استكبر الإنسان، وخالف فطرته، وتكبر وتعامى عن كل ما يحيط به ويثبت وجود الله وإرادته، ولم يشعر بحاجة للإنابة إليه، فإن صدره سيظل ضيقا حرجا لا يتجه للإيمان أو الهداية.

والإنسان في حياته تتفاعل في داخله قوى الهداية وقوى الضلالة، ولا ينجو إلا إذا تغلب -وبإرادته- على دوافع التضليل الله فيه، واستمع إلى صوت الحق واتجه إليه، واستفاد من العقل الذي أتاه ربه، والقوى والحواس التي أودعها الله فيه، فيتدبر آيات الله من حوله ويصل بذلك إلى النتائج الصحيحة من مشاهدته وتجاربه. وهنا تتحقق هداية الله [٢٦].

والخطوة التالية -بعد ذلك- والمنطقية هي أن يعبد الإنسان هذا الإله الذي آمن بوجوده وهيمنته على سائر الكون.

لذلك جاء الإسلام بالأحكام التي تنظم هذه الحياة وتحدد الطريق والوسيلة لعبادة الله. والحقيقة أن هذه العبادة لا تتمثل في صور معينة فقط كمن يعتقد أنها لا تزيد عن دائرة الصلاة والصوم والحج..

---

(٢٦) كنت أناقش شابا ملحدا في الجامعة – وأحمد الله أنهم قلة نادرة – وتدرجت معه في النقاش وجاريته في منطقه الذي يرجع تكوين هذا الكون إلى تطور المادة. وتوصلنا معا -في النهاية- إلى أن هناك ذرة بدأ منها وبها هذا التطوير إلى أن اكتمل على النحو الذي نراه الآن. ثم سألته: وكيف وجدت هذه الذرة؟ وحسبت أنني بذلك وبعد أن سايرته في منطقه سوف أرغمه على الاعتراف بوجود إله خالق لهذه الذرة. لكنى فوجئت به يقول: لا أعلم إن العلم لم يثبت حتى الآن كيف وجدت، لكن من المؤكد أنه سيكتشف ذلك في المستقبل. وتعجبت أن يؤمن إنسان بشيء لم يثبته العلم ويرفض قبول حقيقة أثبتها القرآن -كتاب الله- ورسله وأنبيائه. لكنه الاستكبار والتعنت. ماذا نقول فيهما؟

فالعبودية لله تعنى الحياة بكل أبعادها ودقائقها في ظل استشعار الخضوع والإجلال لعظمة الله وحكمته.

إن العبودية -كما جاء بها الإسلام- تتمثل في ثلاث حقائق أو مفاهيم لا تستقيم حياة المسلم بدونها:

١) مفهوم العقيدة الحقة التي تنبع من الإيمان بالله خالقا ومديرا لهذه الحياة.

٢) إقامة الشعائر التعبدية كما وضحها لنا الله في كتابه وعن طريق رسوله ﷺ.

٣) الحكم بالشرائع الإلهية في مختلف جوانب الحياة[٢٧].

فإذا سقط جانب من هذه العبودية الشاملة، خرج الإنسان من دائرة الدين وحبطت أعماله وساء مصيره.

وقد يؤمن إنسان بالله ولا يقيم شعائره التعبدية ولا يطبق أحكامه وشرائعه فهو في الحقيقة لا يدرك معنى إيمانه هذا ولا يعيشه.

وقضية اتباع أحكام الله ليست ثانوية أو جانبية، نناقشها كما نناقش حاجتنا لتطبيق بعض القوانين في حياتنا، أو نقارنها بغيرها من القوانين والنظريات البشرية.

فالحقيقة أن هذا المفهوم مرتبط تماما بمفهوم الإنسان عن الخلق والوجود الكوني فكما أن الله هو الذي خلق الكون ويخضعه لنواميس معينة، فإنه -جل شأنه- خلق الإنسان وأخضعه لنفس هذه النواميس التي أخضع لها كل الوجود الكوني. وبذلك سن للإنسان الشريعة التي تنظم حياته بما يتفق وسير الكون كله. فإذا سرنا بحياتنا على أساس شريعة الله،

---

(٢٧) ناقشت هذا الموضوع بشيء من التفصيل تحت عنوان (فصل الدين عن الدولة).

انتظمت حياتنا مع الوجود الإلهي كله. فالشريعة هنا ما هي إلا قطاع من الناموس الإلهي العام الذي يحكم فطرة الإنسان، وفطرة الوجود العام، وينسقها كلها جملة واحدة. ومن ثم فإن الالتزام بها ناشيء من ضرورة تحقيق التناسق بين حياة الإنسان، وحركة الكون الذي يعيش فيه.

وإذا أردت أن أوضح هذا المفهوم، فإنني أستأذن أن أشبه الإنسان الذي يعيش ضمن الوجود الإلهي ولا يلتزم بشريعته وأحكامه، كمن يدرس الهندسة ويجيب في امتحاناتها إجابات في القانون أو الطب مثلا. إن الهدف من هذا الامتحان هو استخراج معلوماته في الهندسة، فما الفائدة من إجابة تخرج خروجا تاما عن هذا الموضوع؟ إنها لا تفيده إلا إذا ترك المجال الهندسي والتحق بمجال القانون أو الطب

لكن هل يملك الإنسان أن يعيش خارج مجال السيطرة الإلهية، حتى يبيح لنفسه رفض أحكام ربه ويستبدل بها أحكامًا من وضعه؟!

وقد يتصور البعض أن البشر أعلم بمصلحتهم وبالأحكام التي تدير شئونهم.

لكن الله يجيب إجابة قاطعة، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة ١٤٠]

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦]

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم ٢٣].

لذلك فإن الإسلام لا يعد العبادة فيه هي مجرد إقامة الشعائر، إنما هي الحياة كلها خاضعة لشريعة الله، يتوجه الإنسان بكل نشاط فيها إلى الله.

يقول رسول الله ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار**» [البخاري ومسلم والترمذي والنسائي].

وهل هناك أعمق وأدل من كلام الله في كتابه الكريم:

﴿يا أيُّها الَذين آمنُوا إذا نُودي للصّلاَة من يَوْم الْجُمُعَة فاسْعَوْا إلى ذكْـر الله وذرُوا الْبَيْع ذَلكُمْ خيْرٌ لَكُمْ إن كُنتُمْ تعْلمُونَ ۝ فَإذا قُضيت الصّلاةُ فانْتَشرُوا في الأرْضِ وابْتغُوا منْ فضْل الله واذْكُرُوا الله كثيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ﴾ [الجمعة ٩-١٠]

فإذا كانت العبادة في الصلاة فقط، فمعنى هذا أن الإنسان لا يعبد ربه إلا بنسبة تقل بكثير عن ١ ٪ من حياته!

والحوادث الإسلامية كثيرة في توضيح روح هذا الدين ومفهومه .

عن أنس ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فمنا الصائم، ومنا المفطر. قال. فنزلنا منزلنا في يوم حار، أكثرنا ظلا صاحب الكساء فمنا من يتقى الشمس بيده. قال: فسقط الصوام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب. فقال الرسول صلوات الله عليه وسلامه: «**ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله**» [أخرجه الستة].

وحدث أن شهد شاهد عند عمر بن الخطاب ﷺ فقال: ائتنى بمن يعرفك، فأتاه برجل، فأثنى عليه خيرا، فقال له عمر: أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل؟ قال: لا. قال: أظنك رأيته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن، يخفض رأسه تارة ويرفعه أخرى! قال: نعم. قال: اذهب فلست تعرفه. ثم قال للرجل: اذهب فأتني بمن يعرفك!

هذا هو الإسلام.. وهكذا علينا أن نفهمه ونعيشه.

Obeikandi.com

فصل الدين عن الدولة

لعل أعنف ضربة توجه للإسلام الآن هي محاولة إبعاده عن الحكم، وخنقه في دائرة خاصة تربط الفرد بربه وتزيح عنها ما يلحق بهذا الارتباط.

أو بمعنى عصري محاولة فصل الدين عن الدولة.

إن الإسلام كدين ووحي من السماء إنما يرتكز أساسا على إيمان الإنسان بكلمة «لا إله إلا الله» والتي نرددها دون أن نعيشها ونعى ما تتضمنها من معان عظيمة جليلة .

هذه المعاني التي أمضى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عامًا يدعو لها ويدعمها ويغرسها في نفوس المؤمنين.

إن الإيمان بأن لا إله إلا الله يجعلنا نتجه دائما لله: فلا نطيع سواه.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٨) [آل عمران: ١٣٢].

ولا نطلب العون إلا منه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف ١٩٤].

ولا نتوكل إلا عليه.

﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة ٢٣].

ولا نخشى ولا نخاف إلا منه .

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران ١٧٣].

---

(٢٨) طاعة الرسول من طاعة الله، لأنه -عليه الصلاة والسلام- لا ينطق عن الهوى.

ولا نحتكم إلا له.

﴿فلاَ وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُون حتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء ٦٥]

ولا نخشى الموت.

﴿ومَا كَانَ لنَفْسٍ أنْ تَمُوت إلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ [آل عمران ١٤٥]

ولا يكون شيء أحب إلينا من الله ورسوله.

﴿قُلْ إن كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وأزْوَاجُكُمْ وَعشِيرَتُكُمْ وأمْوَالٌ اقْتَرفْتُمُوها وتِجارةٌ تخْشَوْنَ كَسادَها وَمسَاكِنُ ترْضَوْنَها أَحبَّ إِلَيْكُم مِّن الله ورَسُولِه وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فتربَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِه وَاللهُ لاَ يهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين﴾ [التوبة ٢٤]

إن ثمار هذا الإيمان كثيرة وما عرضت إلا ومضات منها، فو الله لا تكفى عشرات الصفحات لتبيان ما يشعر به المؤمن من سكينة واطمئنان وسعادة في ظل عبادة الله.

لكن مفهوم «لا إله إلا الله» قد خالطه الكثير من الشوائب في أيامنا هذه، فنجد من يعلنها بأعلى صوته ويؤكد عليها ثم لا يلتزم بتعاليم وأحكام هذا الإله الذي آمن به وخضع له واعترف بهيمنته عليه.

وفى هذا يخطئ كل عابث يرتكن لحديث رسول الله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**» فالمقصود بالحديث هنا الفعل وليس مجرد القول والرسول ﷺ كان يخاطب -بهذا النوع من الأحاديث- المؤمنين الذين فهموا وعملوا بما يتبع النطق بهذه الشهادة.

فعن أنس أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، قال: يا معاذ. قال: «لبيك يا رسول الله وسعديك». قال: يا معاذ. قال «لبيك رسول الله

obeikandi.com

وسعديك» ثلاثا، قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يشهد أنه لا إلــه إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار**» قال: «يا رسول الله» أفلا أخبر به الناس فيستبشرون؟ قال :«**إذن يتكلوا**» [متفـق عليـه]. أي لا يـدركون روحه ويقعون في الظن بأن النجاة تتحقق بمجرد أداء الشهادتين باللسان.

لقد جاء الإسلام بأحكام سياسية واقتـصادية واجتماعيـة تـدير الحيـاة وتنظمها فجمع بين مفهوم الـدين كربـاط بـين الـسماء والأرض ومفهـوم النظام كقواعد وأحكام للحياة.

فليس بمسلم إذن من يحكم بغير الأحكـام الإسـلامية، وكيـف يـدعى الإيمان وقد اختار طريقا غـير مـا حـدد لنـا خالقنـا وهـو أعلـم -سـبحانه وتعالى- بما ينفعنا؟!

إن المسلم حينما يلتزم بأحكام الله، لا يدفعه لذلك إيمانه بصواب وكمـال هذه الأحكام والأوامر فقط، وإنما يخضع لهـا لأنهـا أوامـر الله. إنهـا معـان لا يستطيع أن يشعر بها إنسان لا يتعلق بالله ولا يعيش مفهوم «لا إله إلا الله».

لذلك قد نجد من ينصرفون عن تطبيق أحكـام الله، لأن العقيـدة الـتي تدفعهم للإيمـان بـصواب وعظمـة هـذه الأحكـام تنقـصهم ولا تعـيش في نفوسهم ووجدانهم.

أما من يتحلل من أحكام الإسلام السياسية وينكرها عن سـوء نيـة أو لقصور في الفهم، فهـو بـذلك يـضرب الإسـلام في صـميمه. وقـد حـاول الاستعمار أن يبعد المسلمين عن نطاق السياسة وأشاع أنها ميدان للكـذب والنفاق بما لا يتفق وتعـاليم الإسـلام، وقـد نجـح إلى حـد كـبير في ذلـك، وكانت هذه قمة نجاحه في القضاء على الأمة، حيث انفردت طائفة الشيطان

بالتخطيط لسياسة الدولة، مما جعل السياسة فعلا ميدانا للكذب والنفاق، وأصبح السياسي هو ذلك الرجل الذي يتقن اللعب بالألفاظ وخداع الجماهير. ولو فهم المسلمون ما تعنيه السياسة في الإسلام لما ابتعدوا عنها، ولما تركوا المجال للكافرين يسيطرون وينشرون مبادئ الشيطان.

إن كلمة (سياسة) عربية تعني تدبير الشيء والتصرف فيه بما يصلحه.

ورسولنا الكريم ﷺ يحثنا ويدعونا لممارسة السياسة حيث يقول: «**من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**» [٢٩]، والحديث بذلك صريح في خلع صفة المسلم عن هؤلاء الذين لا يهتمون بتنظيم ورعاية شئون المسلمين في بلاد الإسلام (وهو ما يسمى بالسياسة الداخلية)، وحماية مصالح المسلمين والدفاع عنها في الدول الكافرة (وهو ما يسمى بالسياسة الخارجية).

ولقد أدرك المسلمون الأوائل هذا المفهوم وعملوا به. فهذا أبو هريرة ﷺ كان معتكفا في مسجد الرسول إذ رأى رجلا حزينا جالسا في طرف من المسجد فأقبل عليه يسأله عن سبب حزنه فلما علم بمشكلته قال له: قم معي وأنا أقضي لك حاجتك. فقال له الرجل: أتترك اعتكافك في مسجد الرسول من أجلي؟ فبكى أبو هريرة وقال: «سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب يقول: لأن يمشي أحدكم في حاجة أخيه حتى يقضيها له خير من اعتكافه في مسجدي هذا عشر سنين» [صحيح مسلم] .

وقد قسم الإمام الغزالي -في أحياء علوم الدين- علوم الحياة إلى قسمين:

---

(٢٩) رواه البيهقي في الشعب عن أنس رفعه بمعناه وهو عند الطبراني وابن نعيم في الحيلة.

١) علوم غير متصلة بالدين: كالطب والهندسة .

٢) علوم متصلة بالدين: ومنها علوم الفقه والتوحيد وعلم السياسة .

وهكذا يعتبر فقهاء الإسلام أن السياسة فرع من فروع الدين.

أما قواعد وأحكام الإسلام السياسية فمعروفة ومدونة في كثير من المراجع والكتب، وقد طبقت فعلا وحكم بها الخلفاء والولاة المسلمين أيام دولة الإسلام.. إلى أن حدث ما حدث!!

ونود أن نشير هنا إلى بعض أسس هذه السياسة، والتي ترتكز أساسا على الإيمان بأن الحكم لله وليس للشعب كما يدعى أتباع الشيطان .

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أمرَ ألاَّ تعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف ٤٠].

بمعنى أنه ليس لأحد من الشعب أن يقر قانونا، ولا يستحدث حكما مخالفا لأحكام الله. وهذا أمر مرتبط بعبودية الإنسان لله فقط، وبذلك لا يخضع إلا لأحكامه ولا يتبع إلا أوامره، والإنسان الحر هو الذي يعبد الله فقط، ويؤمن إيمانا كاملا أن أحكامه –سبحانه وتعالى– هي الكمال والحق والصواب.

وبعد تعميق هذا المفهوم للإيمان في النفوس، يضع الإسلام نظاما محددا لتطبيق أحكام الله يشمل اختيار الحاكم ومعاونيه، كما يشمل تشكيل الهيئات التشريعية والتنفيذية المختلفة، وتنظيم جهازي الجيش والشرطة.. إلى آخر التنظيمات الضرورية لتسيير الحياة العامة.

وإذا كانت الأقلام المتخصصة قد تناولت بالتفصيل، وفى كتب عدة، شرح كل هذه القواعد، فإن الواجب علينا أن نتذكر دائما ونتفهم جيدا أهم

الأساسيات المميزة البارزة في نظام الحكم الإسلامي، والتي نجدها إما في آيات القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة لرسولنا العظيم ﷺ.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورى بيْنهُمْ﴾ [الشورى ٣٨].

وبهذا يسن الإسلام أعظم مبادئه في الحكم، وهو مبدأ الشورى بين المسلمين، حتى لا يستبد أحد برأيه. بل إن الله تعالى يأمر نبيه -مع أنه معصوم من الزلل ولا يسير إلا على هدى من ربه- أن يشاور أصحابه في الأمر فيقول:

﴿فبِمَا رَحْمَةٍ مِّن الله لنت لَهُمْ وَلَوْ كُنت فظًّا غليظ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا منْ حوْلك فاعْفُ عنْهُمْ واسْتغْفرْ لهُمْ وشاورْهُمْ فِي الأمْر﴾ [آل عمران ١٥٩] .

وكان الرسول الكريم ﷺ يقول: إنما أنا بشر فإذا أمرتكم بشيء من أمور دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأى فإنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن. وحدث أن عارض بعض الصحابه بعض قرارات رسول الله ﷺ في كثير من الغزوات. ولم يكن رسول الله يغضب، وإنما كان ﷺ يقول لهم: «**لو كان أمرا من السماء لما شاورتكم فيه ولكنه رأى**».

وهذا هو أقرب الناس إليه عمر بن الخطاب يعلن المعارضة في صلح الحديبية.. فيقابل أبا بكر ويقول له: أنه لا يوافق على الصلح الذي أبرمه الرسول.. ويحاول أن يستميل أبا بكر إلى جانب رأيه ولكن أبا بكر يعلن أنه موافق على الصلح.. فيذهب عمر وحده ويقابل الرسول قائلا: يا رسول الله.. ألست برسول الله.. قال الرسول: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين.. قال: بلى.. قال: أوليسوا بالمشركين.. قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدنية من ديننا؟ ولم تسكت معارضة عمر عن الصلح إلا عندما قال له الرسول «أنا

عبد الله ورسوله.. لن أخالف أمره ولن يضيعني». وهنا فهم عمر أن الرسول قد تصرف بوحي من الله لا من اجتهاده الشخصي فسكت»[٣٠].

ومبدأ الشورى في الإسلام يختلف تماما عن ما يسمى في عصرنا الحالي بالديمقراطية، وهى كلمة زائفة لا وجود لها في واقع الحياة، والتاريخ ما زال يكشف ويثبت سيطرة أصحاب النفوذ والمال على مقاليد الحكم في الدول الديمقراطية. أما الشورى في الإسلام فلها قواعدها، ومن أهمها أنه لا شورى ولا مناقشة في نص صريح من القرآن أو السنة، وعلى الحاكم أن ينفذ الحكم الإلهي الصريح حتى لو خالف في ذلك رأى الأغلبية -كما فعل سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ في حروب الردة- فعن أبى هريرة ﷺ قال: «لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب ﷺ لأبى بكر ﷺ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**»؟! فقال أبو بكر ﷺ: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: «**فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق**» [مسلم].

والشورى لا تكون بين العامة وإنما ترد المسائل إلى المتخصصين لإبداء الرأي فيها. والتفقه في الدين هو الأساس الأول لاختيار أعضاء مجلس الشورى، دون تمييز بين غنى وفقير، ودون حاجة إلى الدعاية وخداع الجماهير.. إلى غير ذلك من الأساليب، التي تفرض على من يسعى لترشيح

---

(٣٠) كتاب «الحرية السياسية في الإسلام» للدكتور أحمد شوقي الفنجري .

نفسه للمجالس النيابية في الدول الديمقراطية أن يكون غنيا قادرا على صرف الآلاف على حملته الانتخابية[٣١].

يقول رشيد رضا صاحب تفسير المنار: «أولو الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين.. وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة».

كما أن الطاعة واجبة لمن يحكم ما دام يرتبط بالله وذلك لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء ٥٩] .

والملاحظ أن كثيرا ما يتوقف البعض عند ﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ولا يكملون الآية!!

ويتأكد هذا بحديث رسول الله ﷺ «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» [البخاري ومسلم].

والحكم في الإسلام ليس مطلقا أو دكتاتوريا، فالمجتمع كله مطالب بمحاسبة الحاكم وتوجيهه بل وخلعه إذا انحرف عن طريق الحق.

ويحذرنا الله من ترك مبدأ محاسبة الحاكم، بل ومحاسبة بعضنا البعض حتى لا يكون في ذلك انهيارنا كما حدث لبني إسرائيل.

﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة ٧٩] .

---

(٣١) الآلاف كانت أيام الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٧٥م أما هذه الأيام فقد أصبحت بالملايين!

وفى أمر خلع الحاكم المنحرف يقول رسول الله ﷺ: «**وأنا أشهد الله تعالى على من وليته شيئا قليلا أو كثيرا من أمور المسلمين فلم يعدل أنه لا طاعة له وهو خليع مما وليته وقد برئت ذمم الذين معه من المسلمين**»[٣٢] [أورده الطبراني في الكبير، والحارث في مسنده].

وفى حالة اجتماع الأغلبية على حاكم معين، فعلى الجميع الالتزام بهذا الاختيار. وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق بينكم فاقتلوه**» [صحيح مسلم].

وهذا أمر عادل ونتيجة طبيعية لأسلوب اختيار الحاكم في الدولة الإسلامية والذي لا يتم إلا بالانتخاب، فليس في الإسلام توريث أو تعيين في الحكم. ومن الجهل آن يدعى البعض أن خلافة أبى بكر وعمر -رضي الله عنهما- كانت بالتعيين، فهي لم تتم إلا ببيعة عامة من الشعب.

وقد أكد عمر بن الخطاب على هذه الحقيقة في خطاب ألقاه على الأمة قائلا «أيها الناس قد بلغني أن بعض الناس يقول، والله لو مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا .. فلتعلموا أن من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له ... وهو والذي بايعه أحق أن يقتلا».

والمعارضة في الإسلام أمر مشروع -بل ومطلوب- ما دامت في الحق. ولنتأمل هذه الواقعة لنرى أين نحن من أخلاقيات حكام المسلمين: «وقف عمر ذات يوم يخطب في الناس قائلا: أيها الناس أسمعوا وأطيعوا. فقال أحدهم: لا سمع ولا طاعة يا عمر. فقال عمر بهدوء: لم يا عبد الله؟ قال: لأنه كلا منا أصابه قميص واحد من القماش الذي ورد من الشام وأنت

(٣٢) الحديث لم يرد في الصحاح لكن ذكره الحارث في مسنده -حديث رقم: ٦٣٢.

أطول منا فكيف يكفى القماش ليستر عورتك. فقال له الخليفة: مكانك. ثم نادي ولده عبد الله.. فشرح عبد الله أنه قد أعطى أباه نصيبه من القماش ليكمل به ثوبه. فاقتنع الصحابة وقال الرجل في احترام وخشوع: الآن السمع والطاعة» .

والحاكم المسلم مسئول عن اختيار مستشاريه ومعاونيه، حتى لا يدعى بعد فساد الأمور أن الظلم كان يقع دون علمه!!

فعندما تولى عمر بن عبد العزيز الحكم كان أول ما فعله إبعاد أهل الطرب والمداحين والمتملقين من مجلس الخلفاء الذين سبقوه واختار مجلس شورى جديد من ٧٧ من خيرة فقهاء وعلماء الدولة.

يا رب: اهدِ شبابنا للنور حتى يتجهوا لدراسة تاريخنا الإسلامي ليعرفوا كم كان المسلمون عظماء. عظماء بإسلامهم، وليس بديمقراطية الغرب أو دكتاتورية الشرق.

وبعد. إن السياسة من أهم أمور الدنيا المتعلقة بحياة المسلم وأشد ما يحزن النفس أن نرى المد الشيطاني قد استفحل في سيطرته، حتى أحاط دائرة السياسة بسياج يحول دون اشتغال المسلمين بها، بل حتى نفور المسلمين من هذا الجو الفاسد في حالة السماح لهم بالعمل فيه.

والواجب على المسلمين أن يطهروا ما علق بالعمل السياسي من رجس وعفونة، فيعيدوا الصلة المقطوعة بين البشر وربهم ويطرحوا للناس المفهوم الإسلامي للحكم .

إن أساس المشكلة ليس في شكل الحكم: رياسي أو برلماني.. ملكي أو جمهوري.. أحزاب أو لا أحزاب.. حكم العامة أو الخاصة كل هذه الأمور

لا تعبر عن المحور الحقيقي الذي يجب أن نعيش حوله فالعالم الآن تتباين فيه الأنظمة وتختلف.. طبقة تسيطر هنا وأخرى هناك.. أحكام لإنسان هنا وغيرها لآخر هناك.. ألوان شتى تختلف لكنها جميعا تتحد تحت لواء الانصياع للشيطان.

أما حياة المسلم، فإنها تدور حول محور واحد هو الارتباط بالله، بمعنى إقامة حكمه وتنفيذ شرعه، وما الصلاة والصوم والحج إلا مظاهر من مجموع أحكام الله.

وإذا كان الجمهور يرى العالم اليوم تتقاسمه أحزاب شتى: ديمقراطية وفاشستية، وعمالية، ولبرالية. .. فإن الإسلام لا يعترف إلا بحزبين اثنين فقط هما : حزب الله وحزب الشيطان. فأتباع حزب الله هم من يخلفونه - سبحانه- في الأرض ويحكمون بأحكامه. أما سواهم فمن حزب الشيطان، مهما اختلفوا في أسلوب حكمهم ومهما تصارعوا فيما بينهم فهم في النهاية تجمع واحد يتآلف ضد الله العزيز القوى الجبار لكن أكثر الناس لا يفقهون!

هل من الممكن أن يقوم تحالف بين الإسلام وأي من اليسار أو اليمين؟

وفى غياب الوعي وتمكن الجهل، يردد البعض سؤالا ما كان يجب أن يطرح أصلا: «هل من الممكن أن يقوم تحالف بين الإسلام وبين أحد الأنظمة المتناثرة في أنحاء الأرض»؟

أو بمعنى أوضح: هل ينجح تحالف بين الإسلام وإحدى قوى اليسار أو اليمين»؟ .

إن بعض اليساريين يتصورون أن معالجة الإسلام لمشاكل الفقر، وتصديه للدفاع عن حرية الإنسان وعدم استغلاله، أمر كاف لإمكانية قيام تحالف بين الإسلام واليسار.

ومن ناحية أخرى يتصور الاتجاه اليميني أن احترام الإسلام للملكية الخاصة كفيل بنجاح التحالف الإسلامي اليميني .

وكلا التصورين خاطيء، بل وفيهما جهل فظيع.

وقد يعتقد المرء للوهلة الأولى أن اتفاق نظامين في أمر من الأمور هو ضمان أكيد لتوفيقهما في العمل معا.

وقد نعذر من ينظر للقضية من هذه الزاوية فهي تبدو منطقية إلى حد بعيد، وكان من الممكن أن نسلم بصدقها وصوابها لولا أن أحد الأنظمة التي نناقشها هو النظام الإسلامي، وهنا يكمن الخطأ. خطأ تصور أن الإسلام نظام يتحد مع هذا في أمر ومع ذاك في أمر آخر.

وإذا حدث أن اتحدت مصالح اليسار واليمين في أمر ما، كمحاربة الإسلام مثلا، فإن ذلك مستحيل تماما أن يحدث بين الإسلام وأي من اليسار أو اليمين.

فالإسلام وحدة متكاملة [٣٣]، لا يمكن أن يقوم إلا إذا قامت أركانه جميعها، فهو بناء متكامل مستقل، أساسه العقيدة ومنها وعليها يمتد البناء ليشمل النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

---

(٣٣) غضب رسول الله ﷺ وقد رأى في يد عمر بن الخطاب ﵁ صحيفة من التوراة، وقال له...«وأنه والله لو كان موسى حيًا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني» [رواه الحافظ عن الشعبي عن جابر].

لاحظ أن هذا التوجيه موجه لسيدنا عمر بن الخطاب فعجبا لهؤلاء الشباب الذين يبدأون طريقهم في المعرفة والثقافة بقراءة نظريات وفلسفات الملحدين في الشرق والغرب، حتى لا يقال عنهم أنهم رجعيون!

وإذا كنا نرى في العالم اليوم تحالفات تقوم وتسقط فالاختلاف بين المسلم وغير المسلم لا يتيح أي فرصة لنجاح التحالف بينهما، بل وقيامه أصلاً[٣٤].

والاختلاف هنا لا يتعدد ولا يتبدل، فهو في نقطة واحدة فقط هي علاقة الإنسان بربه. فالمسلم حينما يتصرف في أمر من الأمور، أو يبدي رأيا في موضوع ما، فإنه يفعل ذلك من منطلق الإيمان بالله وانصياعه لأوامره -جل شأنه-، فهو حينما يعطف على الفقير لا يفعل ذلك لكونه اشتراكيا. وحينما يحمي الملكية الخاصة لا يفكر بتفكير الرأسمالي، وحينما يحارب الاستعمار فإنه لا يتكتل مع قوى أخرى تحارب شكلا واحدا من الأشكال الاستعمارية -كتحالف ما يسمى بالقوى التقدمية الوطنية ضد الاستعمار الرأسمالي- المسلم لا يفعل ذلك لأنه في نفس الوقت يحارب الاستعمار الشيوعي الذي يتحرك خلف ما يسمون أنفسهم بالتقدميين. فالقضية إذن ليست قضية مصالح، واتفاق في جزئية من الجزئيات، وتعاون مع هذا في مرحلة ومع ذاك في مرحلة أخرى. كلا. القضية هي قضية الإيمان بالله.

من منطلق هذا المفهوم نستطيع أن نتحدث عن تعدد الأحزاب في الدولة الإسلامية. فالإسلام -كما بيّنا- يسمح بالمعارضة والاختلاف في الاجتهاد في حدود دائرة الله. ومن هنا نؤكد أن الإسلام يبيح تعدد الأحزاب وهو اللفظ العصري لوجود تجمعات تختلف في الرأي حول موضوع ما على أن هناك أمرا يجب ألا يغيب عنّا ونحن نؤكد هذا المعنى.

(٣٤) التحالف الممكن بين الإسلام وغيره من الأنظمة أو الجماعات السياسية لا يتعدى سقف العمل معًا من أجل إرساء مبادئ عامة يتفق بشأنها المسلم وغير المسلم كتدعيم قيم العدل والحرية والمساواة واحترام الآخر واستقلال الإرادة الوطنية ومحاربة الاستعمار أما في مجال التشريع وسن القوانين فالتحالف يكاد يكون مستحيلاً.

وهو أن الدولة الإسلامية دولة عقائدية، بمعنى أنها صاحبة رسالة تعمل على إبلاغها للبشر كافة. لذلك فمن غير المعقول أن يسمح فيها بقيام أحزاب تخالف عقيدتها.

وهذه سياسة متبعة في كل الدول العقائدية، حتى عند أصحاب العقائد العفنة الجاهلية كالشيوعية. بل إن في الدول الديمقراطية -كأمريكا- لا يسمح لصاحب الفكرة المضادة لنظام الحكم بنشر دعوته[٣٥].

والأحزاب في الدول الديمقراطية تقوم على أساس الاختلاف في أسلوب التطبيق وليس الاختلاف في أصل العقيدة التي تعتنقها الدولة فلم يحدث مثلا أن تحولت بريطانيا -في حكم المحافظين- عن الخط الأساسي للسياسة العامة للدولة عنه في حكم العمال.

وإنما الاختلاف يكون في أمور فرعية كزيادة الأجور مثلا أو الانضمام للسوق الأوروبية المشتركة.

وبالإضافة لذلك، فإن علينا أن ندرك أن الإسلام يقف في جانب، ونظم العالم كلها على اختلافها في جانب آخر. فبينما تختلف الأنظمة الأخرى في اختيار نظرية وضعية بشرية للحكم -وفى هذا يسمح عندهم بتعدد الأحزاب القائمة على فلسفات ونظريات مختلفة- فإن الإسلام لا يحكم إلا بأحكام الله، ورسالته في الحياة أن يقيم الدولة الإسلامية الكبرى التي تحكم البشرية بكمال الأحكام وأعظمها. أحكام خالق البشر أجمعين.

---

(٣٥) أعضاء الحزب الشيوعي في أمريكا في حدود الآلاف القليلة هم يحاربون من قبل السلطة بكل الأساليب، أما الدول الشيوعية فأمرها مكشوف!

إن الإسلام لا يتبع أحدا، وليس لأحد أن يدعى انه واضع لنظرية إسلامية بتفكيره واجتهاده المحض بغير استناد للقرآن والسنة، واستخراج لأحكامه منهما. فالإسلام دين الله، وهادى البشر لطريق الحق والمشتمل على المبادئ التي ارتضاها الله لعباده.

فكيف نسمح إذن -في ظل هذه الفكرة- بقيام أحزاب تتعارض أصلا مع فكرة عبادة الله والحكم بأحكامه؟ .

إذن فالأحزاب المسموح بها في الدولة الإسلامية هي الأحزاب التي ترتبط بفكرة العبودية لله والتي لا تختلف إلا في اجتهادات التطبيق لأحكام الله[٣٦].

إنه سؤال واحد لا ثاني له: هل نؤمن بالله أم لا؟

والإيمان بالله يستتبعه الإيمان بنبيه محمد -عليه أفضل الصلاة والسلام- رسول الله لإنقاذ البشرية وإرشادها، مما يستوجب بالتالي الإيمان بالإسلام. فإذا آمن الإنسان بالإسلام فعليه أن يقيم أحكامه التي فيها سعادة البشرية.. لأنها أحكام من خلق البشرية. وهو في هذا لا يستطيع عقليا ولا عاطفيا أن يتحالف مع إنسان آخر لا يؤمن بالله ولا بمحمد ولا بالإسلام. بل إنه حتى لا يستطيع، ولك أن تتخيل مدى الصراع الذي ينشأ في كيان حكومة يكون فيها وزير التعليم مثلا مسلما ووزير الثقافة يساريا أو يمينيا.. كيف تسير أمور الدولة ومناهج التعليم إسلامية، وبرامج الثقافة إلحادية؟!

---

(٣٦) يسمح لغير المسلمين -في الدول الإسلامية- بتكوين مجالس شعبية خاصة بهم تحكم فيما بينهم بأحكام دينهم في أمور الزواج والطلاق والنفقة.. إلى آخر ما يتعلق بالأحوال الشخصية. راجع في ذلك كتاب «حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية» للمودودي، واستقلال الإرادة الوطنية ومحاربة الاستعمار، أما في مجال التشريع وسن القوانين فلا مجال ولا إمكانية لحديث هذا التحالف.

والإنسان لا يكون مسلما إلا إذا التزم بكل جزئية من جزئيات الإسلام. فإذا ما وجدت بعض الناس يدعون إيمانهم بقطاع معين من الإسلام كالاقتصاد مثلا أو السياسة، في حين أنهم لا يأبهون بأخلاقيات الإسلام. فذلك يسقط عنهم صفة المسلم فورًا.

وأشير هنا إلى أن هناك فرقا كبيرا بين إيمانك بالشيء حتى لو لم تستطع الالتزام به التزاما كاملا، وبين إنكارك لهذا الشيء كلية. لذلك فإنني أهيب بالشاب المسلم الملتزم، أن لا ينكر على البعض إسلامه لمجرد أنه غير قادر على الالتزام بنفس قدر التزامه. فلا شك أن البذرة الطيبة منشأ أغلبية شبابنا، لكن تيار الإلحاد الجارف يهز بعنف الجذور الممتدة والمتصلة بالله.

إن قضية الالتزام من أخطر القضايا التي نواجهها اليوم.. وإذا كانت حياتنا الآن أشبه بحياة الجاهلية الأولى، فإنني أرى أن الالتزام بالحد الأدنى لأساسيات الإسلام كالصلاة والتمسك بالآداب الإسلامية في المعاملات، هو أمر كاف لتجميع الشباب المسلم في طريق واحد. يزداد التزامهم فيه يوما بعد يوم.

إن القوى السياسية المختلفة في العالم كله تتحالف وتتكابل ضد الإسلام، لذلك فإن الإسلام اليوم بحاجة لجهود كل أتباعه مهما اختلفوا في فرع من الفروع. فالتحالف بين الإسلام وأي جهة أخرى غير ممكن ولا جائز -كما أسلفنا- ولم يعد أمامنا إلا أن نتحد نحن المسلمين.

إن التناحرات التي ولدها المستعمر بين الطوائف الإسلامية والتي يغذيها اليوم ذيول المستعمرين في بلادنا، يجب أن تنتهي وتتوقف وعلى الشباب المسلم لنقي أن ينسى ويتغاضى عن الاختلافات الصغيرة التي

تفرق بين مذهب وآخر، فنحن قبل أي شيء مسلمون، غايتنا في الحياة واحدة وهى عبادة الله بنصرة دينه، وإقامة حكمه، ولنتصدى أولا لحزب الشيطان وأعوانه بدلا من التناحر فيما بيننا.

إن الإيمان بالله يجمع ما بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فالإنسان المؤمن يختلف عن القطيع البشرى الذي يسوقه الشيطان، والتكوين النفسي للمسلم يشده تلقائيا للخير والصواب، ويلتقي في ذلك مع أخيه المسلم أينما وجد.. وهكذا تزداد الدائرة وتتسع حتى تعود السيطرة لحزب الله.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

حكمة الدين[٣٧]...

أحيانا كثيرة يقف الإنسان حائرا أمام كتب لبعض أعلام الإسلام في عصرنا، خصوصا هذا النوع من الكتابات التي تتناول تفسيرا لمفهوم الدين. والحيرة تتولد من عدم ارتياح القارئ لما يقرأه، حيث يجد فيه تحريفا واختلافا أساسيا عن الفهم الصحيح لحكمة الدين وعندما تكون الكلمات لكاتب كبير وثق المسلم بكتاباته، فإن الأمر يزداد غموضا ولا نملك إلا الرجاء بأن تكون المسألة لا تعدو أن تكون مجرد زلة قلم أو عدم توفيق في إيصال المعنى وتوضيحه للقارئ، وقد يتردد القارئ في نقد ما يراه باطلا خوفا من إثارة همسات البلبلة في نفوس المسلمين، لكن في النهاية يفرض الحق نفسه وينتهي التردد، إيمانا بوجوب مراجعة الآراء فيما بيننا، ونحن في طريقنا لنصرة دين الله ومحاربة أعدائه. والحكم أحيانا قد لا يكون سهلا في قبول أو رفض كتاب ما. فقد يشتمل الكتاب على آراء سديدة كثيرة، لكن قد يكون في جملة واحدة من عشرات الصفحات ما يهدم فكرة بأكملها، بل قد يتجه بك الكاتب بروح الكتاب -ككل- إلى اتجاه غاية في الخطورة يجذبك إليه بطريقة غير مباشرة ودون أن تشعر.

هذا ما أحسست به وأنا أقرأ تفسيرا لحكمة الدين يتعارض تماما مع ما أفهمه وأومن به. فعندما يُقسم مفكر إسلامي المسلمين إلى مجموعتين: (الأولى تستمد الكفاح السياسي من العقيدة نفسها والثانية ترى أن السياسة تنبع من الظروف والأحوال التي يوجد فيها المسلمون في وقت من الأوقات) ثم يعترض على خط المجموعة الأولى، ويستفيض في استخراج

(٣٧) عنوان كتاب للمفكر الإسلامي (وحيد الدين خان).

الحجج التي تؤيد مفهوم المجموعة الثانية لينتهي بنا البحث عند فكرة خاطئة لحكمة الدين. عندما نقرأ ذلك، نقف لنناقش ونعترض ونصحح.

نعترض على الفكرة القائلة بأن (البرنامج السياسي للمسلمين، ليس قضية العقيدة في حقيقته، بل هو رهن الظروف والأحوال).

ونتساءل: ما المقصود بالظروف والأحوال؟ وهل معنى هذا أن الكفاح السياسي لإعلاء كلمة الإسلام قد لا يكون مطلوبا في وقت من الأوقات؟

لقد جاء الإسلام ليقيم مجتمعا على أسس الإيمان بالله وحده وهذه هي رسالة المسلم في حياته، فكيف إذن لا تكون ضرورية في لحظة ما من لحظات حياته؟

وما قيمة حياة الإنسان إذا ما عاش والمجتمع من حوله لا يحكم بأحكام الله؟ أولم يخلقنا الله لكي نعبده وذلك بإقامة حكمه؟

إن البعض يشفق على الأحزاب والحركات السياسية الإسلامية التي (تقفز إلى نهر السياسة بدون تدريب كاف وبدون مراس ضروري. فتحق عليهم سنة الطبيعة ويصبحون ضحايا زوابع السياسة).

شيء غريب! فالمفروض إذن أن تنجح أي حركة إسلامية وإلا كان معنى ذلك أنها قفزت إلى النهر قبل التدريب الكافي!!

وهكذا فإننا إذا جمعنا كلمة «الظروف والأحوال» مع «عدم التدريب الكافي» لخرجنا بمبرر عظيم لمن يتثاقلون عن الجهاد!! وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء ٧٢].

وقد رأيت نماذج من هؤلاء أثناء حياتي الجامعية حيث كنت أسمع منهم دائما «لم يحن الوقت بعد» «لا داعي للحديث في السياسة الآن»... واعتقد أن الأجل سيمتد بهم والوقت عندهم لن يحن أبدا!!

غير أن هؤلاء كثيرا ما نجدهم وقد انتهى المطاف بهم في منصب هام في دولة لا تحكم بما أنزل الله، لعلهم يجدون فيه الظروف والأحوال المناسبة!!

وحجة هؤلاء أن الهدف الحقيقي لخلق الإنسان هو أن يعبد الله

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦].

وهنا نختلف معهم في فهمهم للعبادة. فالعبادة هي الإتباع في الشريعة والحكم. والنبي ﷺ يقول في الأحبار والرهبان: «**إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**».

إذن فليست العبادة أن تؤمن بالله في حين أنك ترضى بالعيش في مجتمع لا يحكم بأحكامه -جل شأنه- ولا تعمل على تغيير هذا الحكم، وهذا لا يتأتى إلا بالجهاد، فكيف إذن نتركه رهنا للظروف والأحوال؟

إننا نجد كثيرا من المسلمين اليوم يدفعون عن الإسلام تهمة استعمال القوة ويتصورون إنهم بذلك يظهرون مدى سماحة ورحمة الإسلام. لكن لماذا؟!

أليست القوة هي السبيل الوحيد لفرض رأى معين؟

ومع ذلك فإن الإسلام لا يستخدم القوة لفرض نفسه على الناس ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لكم دينكم ولى دين «وإنما القوة واجبة لإزاحة العراقيل التي تقف في طريق هداية البشر، ومن ثم إتاحة الحرية لهم بعد ذلك لاختيار ما يشاءون بعد أن تتضح أمامهم حقيقة الإسلام. وذلك بعكس ما تؤكده

سيرة الأنظمة الأخرى على مر التاريخ في استخدامها للقوة بهدف فرض عقيدتها وإرغام الشعوب على اعتناق مبادئها، وقد تستخدم في ذلك أسلوب الإبادة الجماعية كما أبادت الرأسمالية الغربية الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين، وكما ذبحت وشردت الشيوعية ملايين المسلمين في جميع البلدان التي سيطرت عليها. وهل نجد في أحقية وجوب استخدام القوة أصدق وأقوى من ٔوامر الله لنا»؟

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة ١٤]

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [التوبة ٢٩]

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال ٦٠]

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [النساء ٧٥]

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ﴾ [النساء ٧٤]

... والآيات كثيرة للحث على القتال واستخدام القوة لتحطيم وتفتيت حصون الشرك والكفر. ورسولنا العظيم ﷺ يقول: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**».

«**من مات ولم يغزو، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق**» [الشيخان].

فكيف نعيب على المسلم إذن جهاده -بالقوة- لتثبيت حكم الله ؟.

إنه الضعف والوهن والجبن وحب الدنيا يدفع المسلم للبحث عن مفهوم لحكمة الدين يجنبه تعريض نفسه للموت.

لذلك قد نجد من المفكرين الإسلاميين -وللأسف- من يتكل ولا يتوكل، حيث أن (أي كفاح لتغيير الحكم لا يكلل بالنجاح إلا حين تتوفر له كل العوامل والظروف والمساعدة) (إن تجميع هذه العوامل والظروف

Obeikandl.com

يتم عن طريق قوة كونية خارجة عن إرادة الإنسان ولهذا السبب نفسه قد نسب الله هذا التغيير إلى ذاته) .

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١١].

«إن الله هو الذي يغير الأحوال وهو الذي يجعلها مناسبة لجماعة ما».

ولا أدرى ما المقصود بهذا الكلام. وهل معنى هذا أن نظل متفرجين على مسرح الحياة إلى أن يغير لنا الله الظروف دون أي تحرك منا؟ وما معنى إذن قوله تعالى ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾؟.

نعم. إننا ندرك جميعا أن التغيير لا يتم إلا بإرادة الله، وأي عمل لا يتم إلا بمشيئته -سبحانه وتعالى-، فالله يقول بعد ذلك مباشرة ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١] يدرك المسلم هذه الحقيقة تماما. لكن من المغالطة أن ننفى إرادة الإنسان في التغيير الذي لا يتم بعد ذلك إلا بإرادة الله.

وفى تفسير «روح المعاني»: والمراد بتغير ذلك تبديله بخلافه لا مجرد تركه. وجاء عن على -كرم الله تعالى وجهه- مرفوعا: يقول الله تعالى: **«وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي. وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من عذابي»** [أخرجه ابن أبى شيبة وأبو الشيخ وابن مردويه].

وفى سورة التوبة نجد تأكيدا لنسب النتائج إلى أفعال ونية أصحابها.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة ٤٦].

obeikandl.com

ونستكمل مناقشة ذلك المفهوم عن حكمة الدين -الذي يأخذ على المجموعة المسلمة الأخرى[٣٨] إن (في تفسيرها، أصبح هدف الكفاح الديني هو قلب النظام الباطل لإقامة النظام الحق، بينما كان الهدف الحقيقي للمسلم في دنياه ولأجل الفوز بالآخرة هو المجاهدة للوصول إلى الصلة القلبية والروحانية مع ربه).

«إن القرآن الكريم لا يحتوى على آية واحدة صريحة تدعم الخريطة الدينية التي أعدها هذا التفسير. إن خلاصة هذه الخريطة أن الدين هو النظام الكامل للحياة الإسلامية وأن الكفاح لإقامة هذا النظام على الأرض هو الواجب الإسلامي الملقى على عاتق المؤمنين. ولكن كتاب الله لا يحتوى على فقرة ما تدل على هذا الهدف دلالة قاطعة».

وهنا يجب أن ننتبه لخطورة مثل هذا الكلام. وما يحويه من تزييف لحقيقة الدين الإسلامي، وإسقاط لآيات القرآن الكريم التي تؤكد أن الكفاح لإقامة هذا النظام على الأرض هو فعلا الواجب الإسلامي الملقى على عاتق المؤمنين.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤].

وكيف تكون أمة بلا دولة أو حكم؟ .

إن الحكم بما أنزل الله هو أساس العقيدة. لأننا بذلك نعترف بالألوهية والعبادة لله وحده. والإسلام كنظام يحكم الحياة يقوم ويرتكز على العقيدة، لذلك فإن الدين في عمومه أشمل من العقيدة وليس العكس هو الصحيح.

(٣٨) التي تستمد الكفاح السياسي من العقيدة نفسها.

يقول المفكر الإسلامي الكبير أبو الأعلى المودودي في بحثه عن «الجهاد في سبيل الله»: «إن الإسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية، وجملة من المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين في هذه الأيام، بل الحق أنه نظام شامل يريد أن يقضي على سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية في العالم، ويقطع دابرها، ويستبدل بها نظاما صالحا، ومنهاجا معتدلا يرى أنه خير للإنسان من النظم الأخرى.

«... فنتبين من كل ذلك أن هذا الحزب (يقصد حزب الله) لا بد له من امتلاك ناصية الأمر، ولا مندوحة له من القبض على زمام الحكم، لأن نظام العمران الفاسد لا يقوم إلا على أساس حكومة مؤسسة على قواعد العدوان والفساد في الأرض، وكذلك ليس من الممكن أن يقوم للحكم صالح، ويؤتى أكله، إلا بعد ما ينتزع زمام الأمر من أيدي الطغاة المفسدين».

لكن ذلك التفسير الخاطئ لحكمة الدين، يعود فيقرر أن (التعاليم الدينية ليست فهرسا لأحكام من نوعية أو درجة واحدة وهو الأمر الذي تقضيه فكرة النظام) -(إن بعض أجزاء الدين مطلوب كحقيقة، أما البعض الآخر من أجزائه فمطلوب بصفة إضافية. والمراد بالمقتضيات الحقيقية للدين أن يكتشف المؤمن الله داخليا وحسيا، حتى يصير عبدا لله ومحبا له- أما المقتضيات الإضافية فهي كل تلك الأحكام التي تعالج حياة المؤمن الخارجية. والمقتضيات الحقيقية مطلوبة من كل إنسان وفى كل الظروف ولا يؤثر فيها الزمن ولا الأحوال.

أما المقتضيات الإضافية فمطلوبة حسب الأحوال والظروف. فإذا كان العمل بالمقتضيات الإضافية متاحا للعبد فهي مطلوبة منه بالضرورة تماما كالمقتضيات الحقيقية أما إذا كانت الظروف غير متاحة للعمل بالمقتضيات الإضافية. فأهل الإيمان لا يتحملون وزر عدم التزامهم بها).

وأتوقف عند كلمات: «المراد بالمقتضيات الإضافية».

«مطلوبة حسب الأحوال والظروف».

«إذا كان العمل بالمقتضيات الإضافية متاحا للعبد».

وأتساءل: هل المقتضى الحقيقي للدين هو أن أكتشف الله داخليا وحسيا فقط ثم لتسر الحياة كيفما تشاء؟ وهل يعقل أن يقبل الله عبدا، عبده وأحبه، ثم اعتبر إقامة حكمه -جل شأنه- أمرًا إضافيًا لا يسعى إليه إلا إذا هيأ الله له الطريق وأوصله إليه دون جهاد وكفاح ؟. ثم من يحدد الأحوال والظروف، ومن يحكم على أن العمل بتلك المقتضيات الإضافية (!!) متاح أم لا؟.

وهل معنى هذا أن المسلمين الذين اعتقلوا وعذبوا وقتلوا، قد أخطئوا لأن الظروف والأحوال لم تكن ملائمة بعد للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله؟.

إنني لا أفهم كيف نعتبر الحياة في ظل حكم الله أمرا إضافيا!!

ونصل لقمة خطأ التفسير عندما يقرر «أننا لسنا ملزمين أن نسعى لخلق الظروف التي نصبح فيها مكلفين لأداء حكم من الأحكام».

ومن الغريب أن يرتكز لإثبات هذا المفهوم الضال والهادم لحقيقة الجهاد، على حكمة لركن من أركان الإسلام، حيث يستدل على ذلك بأن «الزكاة لا ينطبق أمرها على المؤمن إلا عند اكتمال النصاب وهى أمر قطعي للذي اكتمل لديه النصاب، أما المؤمن الذي لم يكتمل لديه النصاب فليس مطلوبا منه تنفيذ هذا الحكم، كما أنه ليس مطلوبا منه أن يسعى جهده ليمتلك قدرا من المال حتى يتمكن من الامتثال لأمر الزكاة».

«فكما أن أحكام الزكاة لا تجعل الثراء هدفا للمؤمن -لأن تلك الأحكام تخص الذين يمتلكون المال والذين يستطيعون التصرف في أموالهم- كذلك تعنى الأحكام السياسية في الإسلام أنه حين يصبح المجتمع المسلم ذا

اختيار في القضايا السياسية ينبغي له أن يستعمل اختياره بأسلوب معين يوافق المشيئة الإلهية».

واضح طبعا أن التشبيه هنا غير منطقي على الإطلاق. ومن المضحك أن نصل إلى نتيجة أن الأحكام السياسية غير ضرورية ولا يجب أن نسعى لإقامتها، وذلك بالمقارنة بحكم الزكاة حيث لم يأمرنا الله باقتناء وتملك المال حتى نصبح في حالة تمكننا من دفعها!!. إنه أسلوب خبيث أن يصل بك الكاتب إلى نتيجة يحاول إثباتها بمقارنتها بنتيجة أخرى صحيحة في حالة مختلفة تماما عن تلك التي يناقشها ويسعى لتفسيرها بما يلائم ويوافق النتيجة الأخرى. كذلك فإن خطر ذلك التفسير يكمن في عرضه لعبارات غاية في الأهمية دون تفسير وإيضاح لها.

ونتوقف عند تعبيره: «حين يصبح المجتمع المسلم» ونستفسر: كيف يمكن للمجتمع المسلم أن يصبح ذا اختيار في القضايا السياسية؟.

هنا نصل لمركز الاختلاف الأساسي في فهمنا لحكمة الدين، وفهم هؤلاء. فنحن جميعا نفهم الإسلام ونعرفه، ولكن الفرق بين المجاهدين والمتخاذلين هو في «كيف نصبح»!

ونحن نقول: لا طريق غير الجهاد والجهاد لا يقوم إلا على أساس العقيدة النابعة من الفهم الصحيح لحكمة الدين.

***

obeikandl.com

حياتنا...

إن الحياة في مجتمع مسلم تعنى الصلة بالله في كل مظهر من مظاهرها، وانبعاث نور الإيمان في كل عمل يأتيه الإنسان.

إنه لا منجى من كل ما تعانيه البشرية الآن إلا بتثبيت أواصر الارتباط بالله، والحياة في ظل أحكامه. والتاريخ يثبت أن ما من مجتمع عاش في سعادة متكاملة تمس مختلف جوانب حياته، مثلما عاش الناس وهم في وفاق مع الله وحب له وارتباط به.

هذه هي حياتنا التي نريدها..

والمرء لكي ينال ما يتمنى عليه بالكفاح والجهاد.

إن حريتهم المزعومة لن تمنحنا شيئا، وقعودنا يزيدهم قوة وسيطرة. والله يريدنا أقوياء.. نعزه وننصره بقوتنا، نستمدها من قوة إيماننا بهيمنته جل شأنه على سائر كونه. إن الحياة لا تسير إلا مع القوى، وأشد ما يؤلم النفس أن نرى المسلمين هم الضعفاء. والضعيف يتهرب دائما من مواجهة الواقع، ويشغل نفسه بهوامش الأمور وسطحيات القضايا.. وهذا ما يشغل تفكير المسلمين الآن.

إن ما يصيبني بالدهشة ويؤلمني، أن أرى مجموعات من الشباب المسلم تتناقش، وتختلف، وتبتعد، لمجرد عدم اتفاقهم في رأى حول سماع الموسيقى، أو صلاة سنة العصر، أو اتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة. .. إلى آخر مثل هذه الأمور. وكأننا أقمنا أحكام الإسلام، ولم يتبق لنا إلا أن نتناقش في جزئيات الفرعيات!!

إنني أرى أن اتجاه المناقشات بين الشباب ينحرف لمنعطف غاية في الخطورة، والبعض يقع فريسة الشباك الاستعمارية التي ينصبها لنا أتباع الشيطان من قومنا. فبينما يتقدم العالم من حولنا ويزداد قوة، ويتجه لتعمير الأرض، وإقامة حضارة مادية شامخة... نستهلك نحن الوقت في مناقشات جدلية بيزنطية، تسيطر عليها تفكيرات لفلسفات الشيطانية. إن الإسلام ليس بحاجة الآن لمحاولات المتفلسفين لإثبات وجود الله، والتعرف على ماهية الذات الإلهية... فهذه قضية منتهية ومسلم بها بالنسبة للمسلمين. ولنا أن نتساءل: ما الهدف من إثارة بعض القضايا التي تشغل تفكيرنا لفترة من الوقت، ثم نكتشف أننا لم نستفد شيئا من مجرد التفكير فيها؟

ما معنى أن نتناقش في موضوع الجنة والنار، ونختلف في نوعية الحساب والجزاء، وهل هما ماديان أو معنويان؟! هل هذا سيغير من الأمر شيئا؟.. هل سيختلف إيماني ضعفا أو قوة، إذا ما علمت أن المقصود بالنار هو عذاب النفس وليس عذاب الجسد؟!

لماذا نتفلسف في تفسير الآيات التي تتناول صفات الله عز وجل. ألم يقل لنا الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؟. إذن لماذا هذه المناقشات في أمور هي خارج نطاق قدرة العقل البشرى، بل ماذا سنستفيد من إضاعة الوقت في مناقشة مثل هذه الأمور ؟.

إن الأجدى والأهم من ذلك كله أن يفهم المسلمون طبيعة هذا الدين الذي يؤمنون به.

إن سنين طويلة من الاستعمار وسيطرة حزب الشيطان، قد حرفت الكثير من مفاهيم الدين الإسلامي. وواجبنا نحن الشباب، الذي أنعم الله علينا بنعمة الهداية، أن نوضح للعامة أحكام هذا الدين وغايته في الحياة.

لنترك جانبا مناقشة الأمور التي لا ترتبط بالحياة، ولا تؤثر فيها تأثيرا قويا، وننطلق ندعو لأحكام هذا الدين الحنيف. إن قضية الإيمان بالله ليست بالمشكلة التي يعانى منها شبابنا، ولكن الغشاوة الشيطانية التي تعمى قلوب الشباب وأبصارهم هي التي تثير الشك في قدرة وإمكانية الإسلام على إقامة مجتمع الخير والطمأنينة والسعادة على وجه الأرض. إذن لتتجه جهود المسلمين لمواجهة -بل ومهاجمة- صميم التحرك الشيطاني، بدلا من الانغماس في مناقشة فرعيات المشاكل، حيث نجد أنفسنا وقد قبعنا خارج الدائرة.. والشيطان يحيطها ويسد الطريق أمامنا حتى لا نصل إلى مركز الأمان والاستقرار... حيث نجد الله، فنعيش في ظله، وننعم بحسن تدبيره ومحكم أحكامه... ويومها يتحرر الإنسان من عبودية الحرية الشيطانية الزائفة.

***

obeikandl.com

هكذا نبدأ الطريق...

ما هو الحل؟.. سؤال يطرحه الكثير من الشباب المسلم.

لكني أتساءل: أليس تحليل الواقع والشعور بوجوب تغييره هو البداية؟

وماذا يجدي عرض التصور للعمل إذا لم يشعر الإنسان ويدرك أن هناك مشكلة عليه أن يبحث لها عن حل؟

إن الموضوع -لخطورته- يتطلب أن نناقشه تفصيليا ومن منطلق الواقع، بعيدا عن الأحلام والاكتفاء بالتمنيات.

أولاً: من الخطأ الجسيم أن نطالب الإسلام بحل مشاكل مجتمع لا يحكم بالإسلام، ولا يتخلق بأخلاقيات الإسلام. وليس مطلوبا -ولا ممكنا- أن يحل الإسلام جزئية من المشكلة العامة. وقد يصح أن تأخذ النظرية الرأسمالية بجانب من النظرية الاشتراكية لحل جزئية اقتصادية لم تستقم مع التطبيق الرأسمالي. لكن الأمر يختلف بالنسبة للإسلام، فهو دين متكامل ونظام للحياة لا يطبق إلا بأبعاده كلها. فالإسلام ليس نظرية تقدم حلولا لوضع معين في مشكلة معينة.

إن من أشد الدعوات هدما للإسلام، وتصويره بصورة العاجز، مطالبته بحل جزء من المشكلة.. قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.. ونتعجب من رفض المجتمع للإسلام ككل، ثم يبحث فيه عن حل لأزمة المواصلات مثلا! بل قد يتعدى الأمر بالمطالبة بحل إسلامي يحدد العلاقات الجديدة القائمة أصلا على أساس غير إسلامي! كمن يطالب بالأحكام الإسلامية التي تحدد العلاقات الاقتصادية في مجتمع يقوم على تقييد الملكية الخاصة وإباحة البنوك الربوية والتأميم والمصادرة.

هذا غير مقبول ولا معقول.

وللأسف فإن كثيرا من الشباب المسلم -وبدافع من الغيرة على الإسلام- يقعون في خطأ تقديم الحل الإسلامي لجزئية منفصلة عن المشكلة ككل. فالمشكلات الاقتصادية لا يمكن فصلها عن السياسة أو التعليم مثلا. فإذا تحددت العلاقات الأساسية في قطاع ما على أساس غير إسلامي، فإن ذلك سيخلق مشاكل ويعوق تقدم النمو في أي قطاع حتى لو كان محددا بالإطار الإسلامي.

لذلك فالمشكلة إما أن تحل برمتها، أو ليبحث السائلون عن مصدر آخر يقدم لهم ما يشاؤون من حل. ..

هذا أمر في منتهى الخطورة ويجب أن ننتبه له جيدا. وعلى المسلم أن يتجنب مناقشة فرعيات المشاكل. وما عليه -عندما يطلب منه حل جزئي- إلا أن يسألهم: إذا كنتم تريدون الحل الإسلامي في هذه المشكلة، فلماذا لا ترضون بالإسلام كنظام شامل للحياة، حيث لا تظهر في مجتمعه أي صورة لهذه المشاكل التي تعانون منها؟!

ثانيًا: علينا أن نحدد من الآن موقفنا من الدين.

هل نشعر بحاجتنا إليه؟

هل نحن سعداء في حياتنا؟. .. إن السعادة ليست مجرد ماديات نتلمسها ونتعامل بها. إنها الشعور بالرضا، والرضا لا يكون إلا إذا اقتنع الإنسان بمفهوم معين لحياته، يعيشه في كل لحظة ولا ينفصل عن إطاره أبدا.

فالبداية إذن تنطلق من إحساسنا بحجتنا للدين وإلا فستعامل معه كنظرية نرفضها أو نقبلها حسب الظروف والأحوال.

obeikandi.com

ثالثًا: النجاة بالدين تتطلب تعميق العلاقة بين الإنسان وصاحب هذا الدين.. الله سبحانه وتعالى، الخالق المهيمن على سائر كونه. ومن البلاهة أن نتصور إنسانا يبحث في أحكام الدين وهو لا يرتبط بالله ولا يخضع له خضوعا كاملا.

لذلك فإن الله -تجلت حكمته- لم ينزل أحكام الإسلام إلا بعد مرور ثلاثة عشر عاما أمضاها رسول الله ﷺ في تعميق مفهوم الإيمان بأن «لا إله إلا الله» وقد كان من الممكن أن يبدأ الوحي بحل مشاكل العرب، وبالتالي تستجيب له القبائل جميعها وينتشر الإسلام فورا دون أي إعاقة. لكن ليس هذا هو المطلوب.

فالهدف من الرسالات السماوية هو كشف وإظهار الحقيقة الكبرى في حياة البشر، وإلا انتهت حياتنا بلا أي معنى، حيث نكتشف في النهاية أننا عشنا ومتنا ونحن عن الحقيقة غافلون غائبون!

رابعًا: بعد ذلك تأتى الأحكام الإلهية كنتيجة لمعرفة هذه الحقيقة.

وهى أن لهذا الكون خالقا مدبرا، لم يخلقنا عبثا، ولم يتركنا نتخبط في حياتنا دون توجيه أو إرشاد، بل حدد لنا أحكاما نسير بها في مجالات الحياة.

والمهم هنا أن ندرك أن هذه الأحكام ليست هي جوهر الدين، وإنما هي نتائج حتمية لإيماننا بالدين، فإذا لم تتحقق هذه النتائج كان إيماننا مزيفًا غير حقيقي. فالأحكام السياسية ليست هي الدين. لذلك فمن الخطأ أن نأمن لسياسي يطالب بالأحكام الإسلامية وهو أصلا لا يرتبط بالله. ومن ناحية أخرى فإن المسلم إذا لم يعمل بأحكام ربه، فهو في الحقيقة لم يتوصل بعد لدرجة الإيمان التي أرادها الله لخلقه.

خامسًا: إذا عاش الإنسان هذا المفهوم، وأدرك هذه الحقائق، عليه – كضرورة منطقية– أن يبحث في أحكام هذا الدين ويعمل على تطبيقها، ويبرزها ويوضحها لكل من آمن بالله. وهذا واجب علينا جميعا: أطباء ومهندسين ومحامين وعمالا. .. فهذه هي حياتنا، فكيف نمضي دون أن نتدبر أحكامها ونعيش بها؟!

إن هناك هدفا رئيسيا للحياة، تظهر بجانبه أهداف أخرى ثانوية .

فالمهندس مثلا لا يعيش حياته من أجل تعبيد الطرق وإقامة المباني والجسور، بل يعيش أولا لعبادة الله والعمل بأحكام دينه، وما العمل الهندسي إلا ضرورة ثانوية تأتى كنتيجة لعبادته لله حيث يأمرنا –سبحانه وتعالى– بتعمير هذه الأرض، وفى هذا نحتاج للعمل الهندسي والطبي.. إلى آخر مظاهر العمل الدنيوي.

يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾ [الكهف ١٠٣– ١٠٦]

سادسًا: نعود الآن للسؤال الهام الضروري: **ما هو الحل؟**

وكما تبين. لا يحق لأحد أن يطرح هذا السؤال إلا إذا آمن بكل المراحل السابقة.

والواقع يؤكد أن كثيرا من الشباب أصبح فاهما لمعنى الإيمان بالله والعمل بأحكامه. والمشكلة أمامهم الآن في كيفية التطبيق والوصول للمجتمع المسلم.

وعند هذا الحد نصل لبداية الطريق، لا نهايته. وبهذا الفهم والإدراك تبدأ مرحلة الجهاد والكفاح في حياة المسلم. **فإذا كانت مهمة الإسلام أن يقضي على الأنظمة الرجعية التي تدور في فلك الشيطان، فعليه أن يواجهها بتجمع قوى يستطيع أن يتغلب على تجمعاتها المختلفة.**

إن الأنظمة التابعة لحزب الشيطان لا تتمثل في مجرد نظريات وأفكار، وإنما لها وجود قائم مسيطر، ولذلك لن يجدي أن نواجهها بمجرد أفكار ومبادئ لا تتمثل هي الأخرى في وجود مستقل يحمى تلك المبادئ ويقيم عليها دولة تحمل الفكرة الإسلامية وتجاهد في سبيل إبلاغها للناس.

وهكذا فإن بداية الطريق تكون في بروز تجمع حركي قوى هو النواة لعودة سيطرة حزب الله.

إن الإسلام لم يحكم، ولم يكن ليستطيع أن يحرر البشرية بدون تجسيد أفكاره في دولة قوية بدأت بتمرد المسلمين على مجتمعهم الجاهلي ورفضهم لقوانينه وتشريعاته. رفض المسلمون الوضع الجاهلي، وانفصلوا عنه، وكونوا أول تجمع إسلامي مستقل -في المدينة- ثم انتشروا منه يحررون العباد من سيطرة حزب الشيطان.

إن أسلوب الدعوة لهذا التجمع يختلف وتتعدد مراحله حسب الظروف والأحوال.

وقراءة السيرة النبوية العطرة توضح كيف بدأ الرسول دعوته سرا ولأقرب الناس إليه، ثم جهر بها مع الاستفادة من حماية عمه له، وحينما اشتد إيذاء الكفار للمسلمين سمح لهم بالهجرة، ولم تقتصر الدعوة على أهل مكة، وإنما امتدت لتشمل العرب الوافدين على مكة في مواسم الحج

والتجارة. وعندما كثر عدد المؤمنين من أهل المدينة ودانت لسيطرتهم، هاجر -عليه الصلاة والسلام- إليها وأقام هناك المجتمع الإسلامي الأول.

واليوم ينتشر المسلمون في بقاع الأرض ولكن بدون سيطرة، ولذلك نجحت التجمعات الشيطانية في فرض نظمها وقوانينها على الإنسان، حتى لو كان مسلما.

وسيظل الوضع هكذا، إلى أن تتجمع المجموعة المسلمة وتتحد، وتنبعث في نفوس المسلمين روح الجهاد وحب الاستشهاد في سبيل نصرة الله، والإيمان بالقوة والقدرة الربانية لتحقيق النصر لنا ما دمنا قد أخذنا بالأسباب وبدأنا الطريق..

***

obeikandl.com

خاتمة

أخي الشاب

أستأذنك -وأنا أوشك على أن أنتهي من حديثي- في توضيح معنى قد يلتبس على البعض ممن يكتبون كتابات إسلامية.

فقد يتصور البعض أن الالتزام بالفكر الإسلامي في الكتابة، يعنى أن نتكلم عن الإيمان، والصلاة وكيفيتها، والصوم وأحكامه. .. إلى آخر العقائد و الأحكام الإسلامية.

والحقيقة أن هذا المفهوم قاصر، ولا أقول خاطئ.

فممن لا شك فيه أن العقيدة هي قاعدة الأساس الإسلامي، ومن البلاهة أن يتكلم إنسان عن الإسلام كدولة دون أن يلم بأساسيات الإسلام كدين.

إلا أن الحديث عن الصلاة والصوم... يملأ عشرات الكتب، بل تكاد لا تخرج موضوعات الكتب الإسلامية الآن عن هذه الدائرة.

لذلك كان لزاما علينا أن نفهم أن الالتزام بالإسلام في الكتابة، يعنى ببساطة شديدة أن نقول رأينا في أي موضوع من خلال وجهة نظر الإسلام.

وفى هذا نستطيع أن نناقش أي مسألة، لأن الإسلام جاء ليقيم دولة متكاملة مستقلة.

ومن الواجب على المسلمين اليوم أن يطرحوا للناس الحل الإسلامي لمشاكلهم، مع التأكيد على أن الحلقات الإسلامية المكونة لدائرة الارتباط بالله، لا تصلح إلا إذا طبقت جميعها ومن واقع الإيمان بالله.

أما أهمية أن تلتزم إسلاميا في كتاباتك، والإعلان عن ذلك صراحة، فترجع إلى إبراز سمات الشخصية الإسلامية، وتوضيح حكم الإسلام في مواضع قد تبدو على السطح وكأنها ملتقية مع آراء غير المسلمين.

فمثلا يختلف معنى الحرية في الإسلام عن معناها في النظام الاشتراكي أو الرأسمالي. لذلك فإنه من الضروري معرفة اتجاه الكاتب للوقوف على غرضه ومقصده من كتاباته، وإلا أصبحت عباراته لا معنى لها.

ومثل هؤلاء الكتاب من أرباب الفكر المنحل، وأحيانا يكونون بلا فكر على الإطلاق، يتخبطون في سيرهم، وينساقون وراء كل صراخ وهتاف كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً.

وبعد..

لعلك لاحظت -عزيزي القارئ- أنني لم أقف كثيرا عند الموضوعات التي تناولتها في الصفحات السابقة، فذلك لم يكن هدفي، وإنما أردت أن أستثير فيك الرغبة لقراءة كل ما يتعلق بالحياة الإسلامية في المراجع المتخصصة في ذلك.

قد تكون ممن قرأوا ويقرءون، فأطلب منك المزيد.

وقد تكون في بداية الطريق، فأطلب منك أن تسرع الخطى. فالوقت ضيق، والشيطان يسعى دائما لتعطيلك، وقد تكون حائرا لا تدرى كيف تبدأ، فلا تخف ولا تتردد في الاتجاه لطريق الله.. فهناك ستجد سعادتك وأمنك.

لا أريد أن أفرض عليك فكرا وإنما أريدك أن تفكر.

لماذا تعيش؟ وما معنى لحياتك إذا ما ظللت مبتعدا عن الله.. وماذا سيكون موقفك وأنت بين يدي الله -وقد يكون ذلك بين لحظة وأخرى- فأنت لا تدرى إن كان الوقت سيمتد بك لكي تتوب أم لا؟!

حاول أن تغمض عينيك، وتتخيل مدى عـذاب الله يـوم تلقـاه، وقـد رسبت في امتحان الحياة.. وساعتها لن تمنح لك فرصة أخرى..

قد يكون الخوف من العقاب باعثا لعبادة الله، لكن هناك أجمل وأسمى مـن الخوف... هناك الحب. فإذا ما أحببت الله شعرت بالراحة وزال القلق عنك.

لا تقل، الشباب من حولي يبتعدون عن الله، وإني أضعف من أن أدير لهم ظهري، وأبدأ طريقي معه –سبحانه وتعالى– فأنت أقوى من ذلك، لكن بطانة السوء من حولك تفتت من قوتك، وتوهمك بأنك وحدك.

وقد كنت أعتقد أنني وحدي، حتى إذا ما بدأت طريقي مع الله وجدت الكثير –بأكثر مما كنت أحسب– من الشباب معي في الطريق. ..

وما زلت في البداية.. فهل نبدأ معا؟!

رمضان: ١٣٩٥ هـ

القاهرة

سبتمبـــر ١٩٧٥م

oloolkandl.com

obeikandl.com

خاتمة الطبعة السادسة

ما زال الكثيرون ينزعجون من تقسيم الأحزاب والجماعات إلى حزبين: حزب الله وحزب الشيطان، في حين أن هذا هو التقسيم المنطقي، وهو أيضًا الواقعي الذي سارت عليه البشرية منذ بدء الخلق يوم أن قتل قابيل هابيل... فريق يتبع الرسل فيؤمن بالله ويخضع لأحكامه، وفريق يكفر بالله ويجحد بأحكامه ويتمرد على فطرته فيصيغ النظريات التي ترتكز على نفي وجود الخالق المدبر الحكيم وما يستتبع ذلك من سن الأحكام والقوانين التي تتسق وتتفق مع هذه النظريات.

وإني لأتعجب من استنكار ورفض هؤلاء، فهم لو تدبروا القرآن الكريم لوجدوا أن هذا هو التقسيم الرباني للبشر (راجع الآيات من ١٤ إلى نهاية سورة المجادلة).

وقد كان من المتصور أن يكون هذا الانزعاج مبررًا لو أن أتباع حزب الله يرفضون الآخر ويهمشونه وينكرون حقه في اعتناق ما يقتنع به، أما وأن النص الإلهي قاطع وصريح في دحض هذا الافتراء ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فلم يعد هناك من معنى لهذا الانزعاج إلا أن يكون سبيلاً لإرهاب الناس وتخويفهم من الإعلان عن رغبتهم في أن يحكموا بما أنزل الله، وفرض دكتاتورية علمانية تلغي الثوابت والأصول الإسلامية للأمة.

غير أننا نلتمس الأعذار لمن يتأثر بصياح وتحذيرات أتباع حزب الشيطان، فذاك ديدن كل منهزم مهزوم أن يفقد الثقة في معتقداته وثوابته وأصوله وينساق وراء دعاوى الفريق المنتصر، لذا فإنه من الطبيعي والمنطقي أن نرى المسلمين اليوم -ونحن نعيش أقسى حالات الانهزام منذ إقامة الدولة الأولى في المدينة المنورة- خجلين من المجاهرة بقناعاتهم وتطلعاتهم. بل تصل الانهزامية لحد قبول وتفضيل كلمات الآخر المعبرة عن مفهوم قد يكون مشتركًا في كثير من جزئياته بين الطرفين، وهو ما يبدو جليًا عند اضطرارنا لاستخدام كلمة «الديمقراطية» بديلاً عن «الشورى» ويظل الإحساس بصواب الآخر ضاغطًا في اتجاه الانهزامية حتى لتبلغ السخرية مداها حين نقبل المبدأ إن صدر عن الآخر ونرفضه هو ذاته إن نطقت به ألسنتنا وجرت به أقلامنا. أنظر كيف يسخر أتباع حزب الشيطان من تمسكنا بثوابت وأصول ديننا ويعتبرونها نوعًا من التخلف والرجعية ومظهرًا لدكتاتورية دينية، في الوقت الذي يقر أسيادهم في الغرب نفس المبدأ. كل ما هنالك أن ما نتمسك به يختلف عما يتمسكون به.

هم يرون مثلاً أن الحرية تسمح بالاستهزاء والتهجم على رسولنا ﷺ في حين أن من يجرؤ على إنكار أو حتى التشكيك في حقيقة أرقام محارق اليهود على يد النازية يقدم فورًا للمحاكمة بتهمة التشكيك في أصل ثابت لديهم، فإن قلنا أن احترام الأنبياء والرسل هو من ثوابتنا هاج أذنابهم عندنا واتهمونا بالحجر على حرية الرأي!

هم هناك يرون أن من ثوابتهم حرية تعرية المرأة فإن غطت مسلمة رأسها وتحجبت منعوها من دخول المدارس والجامعات (بل ويحدث أيضًا

هنا في مصر الإسلامية في بعض المدارس) وكذلك الالتحاق بالوظائف الحكومية (وفي مصر الإسلامية تمنع المذيعة التي تتحجب من الظهور على شاشة التليفزيون) باعتبار أن ذلك ضد ثوابتهم، فإن تمسكنا بحرية العفاف والاحتشام انطلقت أقلام خدامهم تحذر من الدكتاتورية الدينية!

هم قننوا زواج المثلين وفي نفس الوقت يعتبرون تعدد الزوجات من الجرائم التي يعاقب مرتكبها، فإن جرمنا نحن جريمة اللواط وسمحنا بتعدد الزوجات اتهمونا بالتخلف وإنكار الحرية الشخصية!

هم يؤمنون بأن الكون قد وجد صدفة ويعتبرون ذلك تفسيرًا علميًا متقدمًا، فإن قلنا أننا نؤمن بوجود خالق لهذا الكون اتهمونا بالغباء والجهل!

وهكذا في معظم الأمور، هم لديهم الثوابت والأصول التي لا يصح ولا يسمح بأن يحاد عنها، ونحن أيضًا من المفروض أن لدينا من الثوابت والأصول التي يحرم أن تمس (لا اجتهاد في نص) فلماذا يعيب علينا أذنابهم تمسكنا بما يتمسك به أسيادهم؟!

القضية إذن ليست في سمو وعلو نظرياتهم وأنظمتهم وإنما هي الأصول والثوابت التي يعتزون هم بها ونخجل نحن من مجرد الإشارة إليها لأن الشعور بالانهزام يضعنا دائمًا في موقع دفع تهمة التخلف عن ركب حضارتهم لعلهم يرضون عنا! وننسى تذكير وتأكيد الله لنا بأنه ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ونتناسى وعيده وتهديده جل شأنه لمن يتبعهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٢٠.

وفي اعتقادي أن الأساس الفكري المطلوب لحزب الله في هذه المرحلة يجب أن يقوم بداية على تحطيم قيود الشعور بالانهزامية وعودة الاعتزاز بأصولنا وثوابتنا.

لكن ألا يجب أن يسبق هذا معرفة وفهم هذه الأصول والثوابت؟... هذا هو السؤال... وتلك هي المعضلة!

وائل عثمان

waelosman@gmail.com

obeikandl.com

المـراجـع

القرآن الكريم، وكتب التفسير، والحديث.

مجموعة من كتب، سيد قطب.

مجموعة من كتب، أبو الأعلى المودودي.

شبهات حول الإسلام، محمد قطب.

الحرية السياسية في الإسلام، د. أحمد شوقي الفنجري.

الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف الزين.

الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي.

الغزو الفكري، محمد جلال كشك.

الإسلام في وجه الزحف الأحمر، محمد الغزالي.

بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي.

أحجار على رقعة الشطرنج، الأمير آل وليام غاري كار.

حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين.

حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، صديق حسن خان.

سلسلة مقالات عن المرأة، البهي الخولي.

العقائد الإسلامية، السيد سابق.

التفكير فريضة إسلامية، عباس العقاد.

وبعض المراجع القديمة من أمهات الكتب أشرت إليها في موضعها.

obeikandi.com

obeikandl.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي	٣
مقدمة الطبعة السادسة	٥
مقدمة الطبعة الرابعة	٧
مقدمة الطبعة الثانية	١٠
يارب	١٧
مدخل	١٩
الباب الأول	٢١
عالم الحرية	٢٣
الشباب المتهم	٢٧
زيف الحرية المطلقة	٣٠
الحرية الحقيقية	٣١
الحياة في ظل الشيطان	٣٥
التطرف في التحريم	٤٩
هل هو إسلام جديد؟!	٦٣
... وينحرف الشباب	٧٢
... وسادت مفاهيم شاذة غريبة	٧٣

Obeikandi.com

الموضوع	الصفحة
الباب الثاني	٧٩
هذا الدين	٨١
فصل الدين عن الدولة	٨٧
هل من الممكن أن يقوم تحالف بين الإسلام وأي من اليسار أو اليمين؟	٩٧
حكمة الدين	١٠٥
حياتنا	١١٥
هكذا نبدأ الطريق	١١٩
خاتمة	١٢٥
المراجع	١٣٣
المحتويات	١٣٥

obeikandl.com